

عنوان الكتاب : الأداة العلمية على جواز ترجمة معانى القرآن إلى اللغات الأجنبية

المؤلف : محمد فريد وجدى

سنة النشر : ١٩٣٦

رقم العهدة : د ٧٩٣٤

الـ ACC : ١٠٦١٨

عدد الصفحات : ٧٩

رقم الفيـلم : ١٦

Ac/ ١٠٦١٨

٤١
١

الأدلة العامية

على جواز ترجمته معاني القرآن إلى اللغات الأجنبية

تأليف

محمد فوزان الزهراني

مدير مجلة الأزهر

٤٧٤
—————
٧٩٤٣

٤٧٤
٢٠٢٢

ملحق بالجزء الثاني من مجلة الأزهر سنة ١٣٥٥

(بوزع بالمجان)

- Ac/ ١٠٦١٨

- ١٠٣ / ٢٢١, ٤

(الطبعة الأولى) - ١٧ / ٧٩٤٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للعالمين ، وجعله تبصرة لخلقه أجمعين ،
والصلاة والسلام على محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه الى يوم الدين .

مقدمة

القرآن العظيم هو آية الله الكبرى للخلق كافة ، أنزله بلسان عربي مبين ،
ونذب الدين يتولونه أن يبلغوه للعالم بكل وسيلة تصل اليها قدرتهم ، فهو
أمانة عهد بها اليهم ، ودعوا للقيام بحقها ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ، فقال
تعالى : « إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه
للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله وyleعنهم اللاعنون » .

وأهل القرآن إنما ندبوا لذلك لأن له مقاصد طلمية لا تتم إلا بتعميم نشره ،
واشتراك أم مختلفة في إقامته . وهذه المقاصد العالمية تنحصر أصولها في المرامي
الآتية ، وهي :

١ — تطهير العقائد الالوية مما أدخل عليها من آراء المتريدين ، وأضاليل
المتأولين .

٢ — إنقاذ الضمير البشري من الذين انتحلوا حق التسلسط عليه ، وتطهيره
مما ران عليه من وساوسهم وخزعبلاتهم .

٣ — إقامة سلطان العقل ، وإعلان حرية النظر ، وهدم صنم التقليد .

٤ — إسقاط الوسطاء بين الله وخلقه ، والمناداة بالمساواة العامة بين الناس
أجمعين .

٥ — وحدة الجماعات البشرية كافة ، بقيامها جملة على كلمة الله العليا .

٦ — إهدار ما بينها من فروق قومية ، واختلافات جنسية ولفوية
في ظلال الوحدة الانسانية .

٧ — الرجوع بالدين الى أصله الأول الذى أوحاه الى جميع الأمم خالصة من كل شائبة بشرية ، ونبذ مادسه الزعماء الى جوهره من تأويلات وشروح مما جعل الناس فيه أحزابا وشيعا .

٨ — إقامة دولة الحق فى الارض ، وجمع القلوب عليها ، والتضافر على إزهاق الباطل .

٩ — دخول الأمم كافة الى حظيرة السلام ، والتكافل على تحقيق الخير العام ، بنشر التعاليم الفاضلة بين الناس قاطبة .

١٠ — دوام الارتقاء فى العلم والعمل ، والوصول الى الحق من طريق النظر فى آيات الله ، وتحذى المثل العليا للوصول الى الكمال المقدر للإنسان .

١١ — إنذار من لا يساهم من الجماعات على تحقيق هذا الإصلاح العام بالعذاب فى الدنيا ، وسوء المنقلب فى الحياة الأخرى .

هذه أصول ذات مقاصد عالمية ، لاتم على يدأمة واحدة ، ولايدمن اشتراك أمم مختلفة فيها ، ليتحقق معنى أنها إصلاح عالمى عام ، تقوم به الحجة ويصلح أن يكون مثلا أعلى فى كل زمان ومكان . وقد صرح الله تعالى بان القرآن هو ختام الوحي الالهى ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو خاتم المرسلين الى الناس كافة ، قال الله تعالى : « وما أرسلناك إلاكافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

وقد أمر من يدين بالاسلام من الناس أن يتحملوا الأعباء التى يفرضها الحق عليهم بالدعوة الى هذا الإصلاح العام بكل وسيلة ، فقال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن » وقال تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

إذا كان الأمر كما ترى أفستطيع المسلمون أن يهملوا بتبليغ ما ندبوا الى تبليغه اعترافا منهم بالقصور ، او تلبسا بالتقصير ، فيستبدل الله بهم قوما غيرهم

كما أوعد بذلك فقال : « وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم » ؟

ليس فى هذه الملة من لا يسلم بصدق المقدمات التى قدمناها والنتيجة المترتبة عليها ، ولكن الخلاف بين التمسكين ينحصر فى الأسلوب الذى تؤدى به أمانة التبليغ التى فى أعناقنا للآم كافة .

أساليب الدعوة فى مختلف العصور :

قد مضت عهود تاريخية كان للتفاهم فيها أساليب قضت بها سنن الاجتماع وقد أفادت المسلمين هذه الوسيلة فى أول عهدهم ، فدخلت فى الاسلام أمم برمتها ، ولم يحض عليهم قرن واحد حتى بلغ عدد أتباعه نحو مائة مليون نسمة من شعوب مختلفة

ولكننا فى عهد أصبح أقل الناس فيه شأنا يحسب لنفسه وجودا أدبيا ، واستقلالا ذاتيا ، وحرية غير محدودة فى الانتقال من دين الى دين .

وشعر الذين نالوا حظا من الروح الاسلامية من رجالات هذا العصر بفداحة التبعة المترتبة على كتابان ما استؤمنوا عليه من هذه الوديمة الالهية ، وتركها محصورة فيهم ، موقوفة عليهم ، فى عهد أصبحت فيه جميع النظم الاجتماعية ، والربط الأدبية فى بوتقة التقسد الدقيق ، واستمدت العقول لقبول أى علاج كان يفرج الكرب ، ويأسو السكوم ، ويحل المعاضل ، وينجح بحجة لا تفتقر بأهلها عن الرشد ، ولا تبعد بهم عن الغاية ، ولا تتلوى بهم فى مضال طال عليهم الأمد فيها ، وأصبحوا عنها راغبين . فرأى الذين شعروا منا بأمانة التبليغ أن الضن بالبلسم الشافى لجراح الانسانية ، والشج به والناس أحوج ما يكونون اليه ، والعقول أعطش ما تكون الى جديد ، وأرجى ما تكون لمفاجأة ، يعتبر لدى العارفين أكبر جريرة يمكن أن ترتكبها جماعة أسند اليها الاضطلاع بعمل عالمى عظيم . فنشطوا لترجمة معانى القرآن الكريم الى أمهات اللغات العالمية ، وخرجوا من هذه التبعة ، وإعذارا الى الله بهذا العمل ،

لتعمل آيات الله في العقول والقلوب ، وهي في مزدحم الآراء والمذاهب التي تعلق بها رءوس القادة وتفيض منها على ألسنتهم ، ما عملته فيما سلف ، ولترميم أن هذا القرآن يهدى لتي هي أقوم ، فينتفع له طريق الى ضائر الناس وألبهم ، فقد رأوا من آيات الله في الآفاق وفي أنفسهم ما يريهم رأى العين أنه هو الحق الذي يعوزم ، كما وعد الله بذلك في قوله : «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف يربك أنه على كل شيء شهيد ؟

يقولون : هذا كلام لا شية فيه ولكن يكفي أن تؤلف رسائل تبين أغراض الاسلام وأن تنشر هذه الرسائل بين الأمم . ويرتهم أن الاقتصار على الرسائل لا يفي بالغرض المقصود ، ولا يخلصنا من تبعه كتمان ما أنزل الله لأسباب كثيرة ، أهمها :

(أ) أن الأمم لا تقبل على قراءة هذه الرسائل كما لا تقبل نحن على قراءة رسائل المبشرين ، اعتقادا من تلك الأمم أن هذه المطبوعات تكتب للنداية ، وأنها يتجرى فيها التأثير الخطائي ، والخلافة الكتائية .

(ب) أن الخصوم يستطيعون أن يقاوموا رسائلنا برسائل مثلها ، مدعين أن ما نكتبه فيها غمرة ما حصنناه من علومهم ، لا ثمرة لعالم كتابنا ، وقد كتبوا عنه أنه غذاء عقيم لأهله . (انظر كتاب رسائل في الدين للمبشرين باللغة الانجليزية) .

(ج) أن الأمم المعاصرة لا يقنعا أن تأخذ الشيء بالواسطة ، ويفهم سواها له ، وإنما يريد من مصدره الأول . وتدعى أنها تفهم منه أكثر مما يفهم أهله الأخضون . فترجمة معاني القرآن والحالمة هذه أصبحت في هذا العصر أمرا لا مناص منه ، قياما بالعهد الذي في أعناقنا له ، وإلا استحققتنا ما يوعد الله به المقصرين في تبليغه .

يقولون : إن القرآن منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ،

فان سلمنا لكم بترجمة معاني آياته المحكمة ، فلم تشبثون بترجمة آياته المتشابهة ، أتريدون أن تثيروا شبهات على القرآن ؟

تقول : أنتم أعلم أم الله ؟ إنه جل وعز أنزله محكما ومتشابهها والعرب في جاهلية جهلاء ، وأمية صماء بكاء ، وقد وصفهم في عشرات من الآيات بأنهم كانوا لا يعلمون شيئا ولا يعقلون ، وبأنهم كالخشب المسندة ، وكالأنعام السائمة بل أضل سبيلا . والقرآن اليوم منتشر بين الأمم الاسلامية على ما أنزل عليه ، وفيهم أقوام لا يكادون يفقهون قولنا ، أفلا يعسنا ما وسع الحق نفسه ، ووسع رسوله فبلغه كله ؟

إن هؤلاء لا يهتمون بسوء النبوة ، ولكنهم مغترون بالحصنة الضئيلة من العقلية التي حصلوها ، ويفيب عنهم أن هذه الآيات المتشابهة جزء لا ينفصل من القرآن ، وربما انكشفت منها آية واحدة لبعض أهل البصائر فلا منها طباق الأرض نورا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

يقولون انه ترجمته القرآنة لا تجوز :

يقولون هب أن كل ما نقوله حق ولكن ما العمل وقد أجمع الآئمة أن ترجمة معاني القرآن لا تجوز ؟

تقول : بالضيعة العلم ! أي مثل هذا البلد الذي يعتبر مثابة للاسلام ، وبين ظهرائي الأتوف المؤلفة من علمائه ، يتجرأ المتجربون على اتهام آئمة الدين الأولين بخصر معاني كتاب الله في اللغة العربية وعدم تمديتها الى الأمم التي كلفنا بالابغها اليهم ؟

فانظر الى أي دركة وصل بعضنا في تدهوره من إغفال الناحية العالمية للاسلام ، حتى أصبح لا يسعهم ما وسع آباءنا الأولين من لدن القرن الأول ، بل ما وسع النبي صلى الله عليه وسلم إذ سمح بأن تترجم الفاتحة ويقرأ بها ترجمة في الصلاة . وقد بنى أبو حنيفة مذهبه على هذه الحادثة .

نعم ، ألا تعجب من قوم أوتوا كتابا نص فيه على أنه للعالم كافة ، لا لقوم خاصة ، وأمرُوا أن يقوموا بتبليغه الى الناس في مشارق الأرض ومغاربها ، فقام أوائلهم بما تسنى لهم القيام به من ذلك على الطريقة التي كانت مألوفة في زمانهم ، فلما آل الأمر الى أهل هذا الجيل ، وتغيرت سنن التبليغ ، وقامت العوامل الأدبية مقام العوامل المادية ، وثقلت عليهم تبعه التخصيص ، فهبوا يجرؤون على سنة العصر ، بترجمة ذلك الكتاب الكريم الى اللغات الأجنبية ، وفاء بما حمّله من هذه الوديعه ، هب منهم قوم يدعون بالويل والثبور ، وعظام الأمور ، وقد بلغ منهم الذعر المنصنع غايته ، وأخذ منهم الملعق المنكسر ، مأخذه ، يلتدمون صدورهم بما وكدا ، وبذرفون الدموع الحرى كريا وأسفا ، ويتعاهدون على عرقلة هذا المشروع بكل وسيلة ؟ !

على أى شيء كل هذا ؟ أوراها تحريف القرآن العربي المبين ؟ أم حلول الترجمات محلّه عند المسلمين ؟ أم ضياع جلال الدين ؟ أم تمكين الكافرين من رقاب المؤمنين ؟ أم فتح الثغور الاسلامية للغزاة والفاحشين ؟

أنتمدى المسألة مهبما بولغ في تهويلها ، واستهتر في تدليسها ، أن طائفة من المسلمين قاموا يعملون ما فيه خلاف بين فقهاء المذاهب وأكثرهم يرى أنه عمل جائز شرعا بل هو مستحسن .

فهل يسع هؤلاء المتظاهرين بالفيرة على الدين أن يتأموا ملء عيونهم وقد ظلمت البدع في المسلمين ، وانتشرت الاباحه بين الناس أجمعين ، وعم الفساد الأبدسين والأقربين ، ولا يسعهم أن يغمضوا الطرف عن أمر كل ما يمكن أن يقال فيه أنه يخالف لرأى بعض العلماء المتقدمين ؟

فبإذا تعلم ما هم فيه من الهمة الناضب ، والقلق الواصب ، وقد ثبت للناظرين بكل دليل أن ترجمة القرآن يجرؤها أكبر مذهب في المسلمين ، ويستحسنها جمهور من العلماء المتأخرين ، من جميع مذاهب المتقدمين ؟ أنا أترك التعليق للقارئين .

لعلك تقول بعد هذا كله : إذا كان الأمر كما تذكر فن أين يأتي الذين يعارضون هذا الموضوع بالأقوال من كتب المذاهب معزوة الى علماء مشهورين فيها ؟

تقول اليك بيان هذا الأمر :

إن الذين يتولون المعارضة في ترجمة معاني القرآن الكريم فرقان : إحداهما تستهتر في معارضتها قصورا منها في العلم ، وقصر افي النظر . وثانيتهما جريا وراء اعتبارات تتأثم أن تخوض فيها رجما بالغيب .

وقد اتفقت الفرقان على القول بأن المسلمين (أجمعوا) على عدم جواز ترجمة معاني القرآن ، وهم لا يثبت هذا القول يكثرُونَ من إيراد عبارات يتصيدونها من كتب الفقه ، أترت عن الذين كانوا يقولون بعدم الجواز ، مغفانين من عداهم من القائلين بجواز ترجمته ، إيهاما للناس بأن إجماع المسلمين انعقد على تحريم الترجمة .

ولا يخفى على أحد أن حرية البحث أصل من أصول الاسلام ، حتى لا تكاد تجد مسألة فرعية لم يحدث فيها خلاف ، ليس بين أصحاب المذاهب المختلفة فحسب ولكن بين علماء كل مذهب منها أيضا . ومسألة ترجمة القرآن هي إحدى هذه المسائل التي عرضت للمسلمين من أول ظهور الاسلام واختلفت فيها الآراء .

فترى أصحابنا المعارضين يعمدون الى جمع الآراء المعارضة في صعيد واحد ، ليظن كل من يلقى بنظرة عليها أنهم يسوقون الفقه كله بين أيديهم إيهاما للعامة ومن في حكمهم أن المسلمين الأولين كانوا يحرمون ترجمة القرآن الكريم تحريما بانا ، وأن القائلين بوجوب ترجمته من المعاصرين مبتدعون ، ليصيّبوا هدفهم من إثارة نفوس الدهماء على المصلحين ، شأن إخوانهم المشبطين في جميع أدوار النهضة الاجتماعية والأدبية .

ونحن لوقاية الناس من خطر هذا التلبس الشنيع نضطر هؤلاء المبطلين الى حصر بحوثهم في مجالات محدودة ، بطرح هذه الأسئلة عليهم ، وهي :

هل قال أبوحنيفة بجواز ترجمة القرآن والصلاة به مترجما للعاجز عن العربية أم لا ؟ وهل نصت على ذلك كتب الأحناف قديما وحديثا أم لا ؟

وهل على مسلم من باس أن يتمذهب بمذهب أبي حنيفة الملقب بالامام الأعظم ويعتبر مسلما سنيا أم لا ؟

وهل يعتبر ابن حجر شارح البخارى ، وابن بطال ، والشاطبي صاحب الموافقات ، والمقدسى ، والامامان محمد بن الحسن وأبو يوسف صاحباً أبي حنيفة ، وجميع من استشهدنا بأقوالهم في جواز ترجمة القرآن ، مسلمين سنيين أم لا ؟

شبهات طريفة على ترجمة القرآن :

إن شئت أن تعرف أمثلة من هذه الشبهات الطريفة فإليك :

كتب واحد منهم في المقدم يقول ما خلاصته : لو ترجم القرآن الى لغة أجنبية استطاع أهل تلك اللغة أن يدعوا أن هذه الترجمة هي أصل القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يوعزون الى بعض رجالهم بترجمته الى العربية في لغة سقيمة ، ويشيرون هذه الترجمة بين المسلمين موهين بإيام بأنها هي القرآن نفسه ، فيضيع أصله وتبقى هذه الترجمة الساقطة بين أيدى الناس ، فيصيب القرآن ما أصاب الكسب الالهية التى زلت قبله من ضياع الأصول وبقاء التراجم .

يخج ! فلا تسأل هذا العالم ، وأين تكون ملايين الملايين من القرآن العربى المبين إذ ذاك ؟ وأين يكون المئانون مليوناً من الذين يتكلمون العربية ويعرفون قرآنهم كما يعرفون أبناءهم عند ظهور هذه الفتنة ؟ وكيف يمكن أن يروج مثل هذا الافك بين الأتلى مليون نسمة من سكان الأرض ؟ وكيف يتفق هذا ووعده الله بحفظه من كل سوء ؟

قلت : لا تسأله عن شيء من هذا فقد يسمعك ما هو أشد منه إيلاما للعقول .

شبهات من طراز آخر :

وقد قرأنا في المقدم أيضا لفضية الشيخ محمد سليمان أن في ترجمة القرآن أخطارا على أصل الدعوة الاسلامية ، وعزة اللغة العربية ، ومجد هذا الوطن .

فنحن نسأل فضيلته : كيف يعقل أن تكون في ترجمة القرآن أخطار على الدعوة الاسلامية وقد شرط العلماء أن تكون تلك الدعوة بلسان الأقوام المدعويين وبالانتقال اليهم في بلادهم ؟

وهل يرى الأستاذ قولاً أقوى حجة ، وأفضل في النفس ، وأدخل الى مواطن الاقتناع من كلام الحق نفسه ؟ لقد قرأ الفيلسوف الانجليزى برنارد شو نسخة القرآن المترجمة الى الانجليزية فقال : « إن الديانة الاسلامية كقضية باسو جراح الانسانية ، وإن العالم المتمدن قد بدأ يفهمها على حقيقتها ، ولا أظن أنه يمضى عليها قرنان حتى تكون قد أسلمت كلها » .

وقال العبقري الكبير جوت الألماني بعد أن قرأ ترجمة القرآن : « لو كان الدين الاسلامى هو هذا فنحن إذن فيه » .

وقال نديده الكبير كارليل الانجليزى مثل قوله . وقال غيرهم من كبار العقول مثل قوطم . وليس فيهم واحد يعرف حرفاً من اللغة العربية ، وإبناهم نظروا في هذه التراجم العاقرة التى بين أيديهم . فهل يقال بعد هذا إن في ترجمة القرآن ترجمة صحيحة أخطارا على أصل الدعوة ؟

ماهى الدعوة التى تكون ترجمة القرآن خطرا عليها ؟ أهى الدعوة باللغة العربية ؟ هب أن رجلا قام يدعو للسلام في بلد أجنبي فقيل له أين كتابه ؟ فقال لهم إن كتابه تستحيل ترجمته الى لسانكم . فستل ولماذا ؟ فأجاب لأن علماء المسلمين يحرمون ذلك . أفتظن أن جوابه هذا يكون في مصلحة الدعوة الاسلامية ؟ بل هل في العالم من يعقله ويعطف على القائلين به والعالملين عليه ؟

أفلا يكون ذلك موجبا للسخرية فوق ما هو عليه من الصد عن الدين ،
والاستخفاف بمقلية أهله أجمعين ؟

نظير في الأخطار المتوقعة من الترجمة على عزة العربية :

الذي يعرفه الناس قديما وحدينا أن شرف اللغة وكرامتها ، ومكانة أهلها
من الذخر الأدبي يكون بقدر ما يترجم عنها الى اللغات الأجنبية . فإذا عرضت
أمام عينك أعز أم الأرض اليوم كالمجترات وفرنسا والمانيا وغيرها ، رأيت لغاتها
أكثر اللغات عرضة للترجمة . فلا يكاد يصدر فيها كتاب قيم حتى يترجم
الى أكثر لغات العالم . وهذا في عرف الناس من أجل مفاخر لغات تلك الأمم
ولما كانت الأمة العربية في أبهة سلطانها كانت الأمم كلها عالة على لغتها ،
تترجم عنها ما ترى أنه يفيدها ، ولم يقل أحد إن ترجمة كتبها كانت تقدر
في عزة لغتها .

فإن كان المراد أن تولينا نحن ترجمة القرآن بأفئدتنا يقدح في عزة لغتنا ،
فنحن مضطرون الى ذلك من ناحيتين : أولاها أن الأوربيين ترجموا القرآن
ترجم سقيمة لا ترى مندوحة من تقويمها ، ولا يسعنا تركها على حالها .
وثانيتهما أن مصلحة الدعوة تحفزنا الى ذلك لأننا مكلفون بها شرعا ، والدعوة
بالقرآن أبلى ما يصل اليه الامكان ، وهو المسأثور عن رسول الاسلام صلى الله
عليه وسلم ، فانه إذا أراد أن يدعو قوما قرأ عليهم ما تيسر منه ، فلا يجدون
محيضا من التسليم به . قال تعالى : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا
متصدعا من خشية الله ، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » وقال
تعالى : « وأوحى الى هذا القرآن لا نذكركم به ومن بلغ » أى وسائر من بلغه
من عموم الخلق . وقال تعالى : « فذكر بالقرآن من يخاف وعيد »

إذا كان الأمر كما ترى فلماذا نعدل عن هذه الطريقة الى غيرها ؟

يقول المنتنون : الذى أمرنا أن نذكر به هو القرآن العربى لا ترجمته .
نقول : إننا نذكر بالقرآن من يفهمه . فأما من لا يفهمه من الأجانب فنذكرهم

بترجمته ، كما ذكره ابن حجر في شرح البخارى نقل عن ابن بطال . ولا بأس
أن نعيد قوله هنا فقد قال : « إن الوحي متلوا أو غير متلوا إنما نزل بلغة
العرب ، ولا يرد على هذا كونه صلى الله عليه وسلم بعث الى الناس كافة عربا
وعجميا وغيرهم ، لأن اللسان الذى نزل عليه به الوحي عربى ، وهو يبلغه
الى طوائف العرب وهم يترجمونه لغير العرب بالسنتهم » انتهى .

لنظير في ضرر ترجمة القرآن بمجد هذا الوطن :

لم نسمع قبل اليوم أن تصدى أمة لترجمة كتابها المقدس بقصد تقويم
الترجمات التى صدرت عنه ، وبقصد القيام بدعوة عامة للدين الذى يدعوا اليه
يقدر في مجد وطنها ، ويحط من كرامته .

ولكن الذى سمعناه ورأيناه بأعيننا أن أعز الأمم جانبا في هذا العصر
تترجم كتبها المقدسة الى أخط اللغات العالمية ، وتعنى بطبعها وتجليدها وتوزيع
ملايين من نسخها بالجان ، ولا يشعر أحد في تلك الأمم العزيزة أن مجد وطنها
قد مس بسوء أو أصيب في كرامته ، بل اعتبر الناس جميعا أن هذا العمل قد
أضاف مجدا الى مجد تلك الأمم ، وزادها شرفا على شرف . إن كان شعور
المسلمين بالمجادة والسؤدد ، أشد في عهد منه في أى عهد آخر ، فقد كان ذلك
في القرون الأولى من ظهور دينهم ، وكان العالم كله يمتدح لهم بهذه المجادة
ويدين لها فعلا . ومع هذا فقد ظهر القول بجواز ترجمة القرآن والصلاة به
مترجما لمن لا يعرف العربية في القرن الأول ، وعلى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، إذ ترجم سلمان رضى الله عنه فاتحة الكتاب الى الفارسية وحلى بها
بعض من أسلم من الفرس ، وأصبح هذا الجواز في القرن الثانى ، أصلا مذهبيا
في أكبر مذاهبهم الفقهية . وأبدى كثير من كبار علماء المذاهب استحسانهم
للترجمة دون الصلاة بها كما رأيناه هنا .

وقد تنازع أصحاب المذاهب في مسألة الصلاة بالترجمة أو بطلانها ولم يذكر
واحد منهم في الشبهات التى أدلى بها أن ترجمة القرآن تضر بمجد المسلمين أو تقدر

في كرامتهم . فهل يعقل أن نكون أكثر منهم شعورا اليوم بهذا المجد في هذا العهد ؟

أليس مما يزيد مجد هذا الوطن أن يعلم الناس أن لأهله دينا قويا ، وكتابا معجزا ، بدل أن يتوهوا أن ديننا مناسب لدرجتنا من التقدم ، وأنتا نتخلى عنه متى اجتزنا دور الانتقال الذي نحن فيه ؟ أليس هذا هو سر حوم دعاة الملل حولنا ، وتحككهم بنا ، طمعا في تصيدنا الى ملهمهم ؟ ألم يقل الأستاذ هانوتو إن الاسلام يصلح قنطرة من الوثنية الى المسيحية ؟

إن هؤلاء الدعاة يستمدون كبار الأغنياء في العالم الجديد رن الحديث بدعوى أننا على دين ساذج لا يناسب التقدم ، ولا يقوى على البقاء معه ، وأولئك يصدقونهم فيما يقولون ويبدلون لهم القناطر المتظرة من الذهب ، ليستمروا في دعايتهم . ولكن لوقرأ هؤلاء الأغنياء ترجمة القرآن التي يصدرها الأزهر ، ويكنى أن يعلم أنه مصدرها لتقرأ ، فأنهم يدركون أن للمسلمين دينا لا يهدم ، فيكفون عن مساعدة هؤلاء الدعاة أو يقولون من إمدادهم .

فهل تزيد مثل هذه النتائج المنتظرة في مجد هذا الوطن وسائر الأوطان الاسلامية أو تنقص منها ؟

كفى هذا البيان ، ولا أريد على ما سألت جوابا .

الرأى العام الانجليزى وكتاب الصلوة :

ومما كتبه فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان في المقطم تنويها بسلطان الرأى العام أن قسوس الانجليز رموا منذ أعوام الى إحداث تغيير في كتاب الصلاة فأبى عليهم الرأى العام ذلك وبقى نصه على ما كان عليه .

يريد الأستاذ من إيراد هذه المسألة أن للرأى العام أن يضطر مشيخة الأزهر الى العدول عن ترجمة القرآن .

وهذا قياس مع الفارق ، فان قساوسة الانجليز كانوا أرادوا أن يحوروا

لنص عبارات الصلاة بما يجعلها أكثر ملاءمة للأفكار الحديثة في مقابل وضع صيغ فيها تقرب من الكاثوليكية ، فقصدي لهم المحافظون وتمكنوا من التأثير في مجلس المعموم على إبقائها على ما كانت عليه ، فافترع ضد التعديل ، وبقى نص الصلاة على ما كان عليه . ولكن هل منهم حق ترجمته الى عشرات من اللغات الانسانية زائما أن ذلك يحط من كرامة الوطن ، أو يسقط من مجادته ؟ بهذا كان يصح القياس لا ببقاء نص الصلاة على ما كان عليه .

أين هذا من موقف الأزهر اليوم ؟ إنه يرى أنه قد صدرت ترجمات عديدة للقرآن الكريم بأكثر اللغات الحية كلها مصدرة بمقدمات تندح في قداسة الاسلام ، وفي صدق رسوله ، وليس فيها واحدة يمكن الاعتقاد عليها ، ويرى أن سكوته حيالها إقرار ضمنى بصحة ما جاء فيها . وفي ذلك إثم كبير بل خطر عظيم على الاسلام والمسلمين . أفلا يكون من أهم ما يجب أن يعنى به الأزهر وضع ترجمة صحيحة لمعاني القرآن الكريم تتلافى ضرر الأخطاء الفاحشة التي جاءت في تلك التراجم الكثيرة ، فيقف الناس على حقيقة الاسلام من مصدره الأقدس ، وبخاصة في هذا العهد الذي تغل فيه الرءوس في أوروبا وأمريكا وآسيا يطلب التجديد والوقوف على الحقائق الناصعة ، وإزاء حركة المؤتمرات الدينية التي تعقد كل عام في عاصمة من أكبر عواصم الأرض ؟

أمن الورع أن يقف المسلمون جامدين مكتوفي الأيدي أمام أمثال هذه الحركات الفكرية والروحية ليتوهم العالم كله أننا لا نملك سلاحا نكافح به في ميدان هذا الجهاد الفكرى في هذا العصر المنير ؟

ألا يعتبر جودنا هذا من إضاعة القرص السانحة ، وإفائة الظروف الملائمة ؟ يخيل الى أنه لو جمد الأزهر على النحو الذى يشير به الأستاذ الشيخ محمد سليمان اليوم ، وبت في العالم أمر من الامور الدينية غدا ، لجاء فضيلته يملا الجوصا صياحا قائلا : أين كان الأزهر والافكار في إبان غليانها ، والبحوث في أشد ثوراتها ، ألا كان يجب عليه أن يزع بنفسه في هذه الممعة السامية ، فيرفع شأن الاسلام كما هو به خاليق ، ومنه أولى ؟

يقولون نعم ، ولكن أولى من ترجمة القرآن الاكثا من الرسائل والكتب .

هيات ! لا يعقل أن توجد أداة لنشر الاسلام تضارع القرآن ، وليس في قدرة البشر أن يبتكروا أسلوبا كأسلوبه في جذب العقول والأرواح . والترجمة إن حجبت إعجازه اللفظي فلا يمكن أن تحجب إعجازه المعنوي وهو الذى عليه المعمول وبخاصة في هذا العصر .

واخجلناه أن بعض المسلمين يعملون على صد نور القرآن أن يملأ آفاق الأرض ، بحجج ما أنزل الله بها من سلطان ، بل يشبهات لاتمت الى العلم ولا الى العقل بابعد صلة ، هدامم الله !

بلغار يا نفضى كلبية للغة العربية :

وقال فضيلة الأستاذ الشيخ محمد سليمان في كلمته التى كتبها في مقطم ٢٢ ابريل الحالى : إن حكومة بلغاريا قررت إنشاء كلية إسلامية تدرس العربية في صوفيا لمسلميها .

يقول الأستاذ هذا وهو يعلم من قراءة تلغرافات الجرائد ، أن المسلمين يسكبون في بلغاريا قلنا سياسيا اضطرهم للهرب جماعات الى البلاد التركية ، وكثير ، ما اضطر يوليس الحدود البلغارية لاطلاق النار عليهم . وقد اكثرت تركيا من لفت نظر الحكومة البلغارية الى ذلك .

وفضيلته يعلم أن الشيوخ الأتراك خارج تركيا ناقون كلهم على الحكومة الكلبية ، وعاملون على تسوئة سمعتها ، ومما كسمة تجديدها ، وأن بعض الدولات البنقانية تشجعهم على ذلك ، ولكننا نستبعد أن تنشئ بلغاريا مدرسة لتعليم العربية ، لأنه لا يعقل أن تنشئ الحكومة هناك كلية تنفق عليها الألواف المؤلفة وهى في حاجة ماسة الى مثلها لتعليم أبنائها لغتهم الوطنية ، ولا تسمح لها سياستها المالية بانفاق درهم واحد لنشر لغة أجنبية .

أندونيسيا وتعليم اللغة العربية :

يقول فضيلة الشيخ محمد سليمان : إن المسلمين في أندونيسيا أسسوا خمسة مدرسة لتعليم اللغة العربية .

يقول : أندونيسيا اسم يطلق على مستعمرات هولاندة في القارة الأقيانوسية وهى جزر جاوه وسوق وسليبي وأبالجه وجزائر السلوك وأجزاء من جزر أخرى يقدر عدد سكانها بنحو ستين مليوناً سوادهم الأعظم مسلمون ، وفيها جالية من عرب حضرموت وغيرها قصدوها للتجارة ، وأسسوا فيها مستعمرات عربية خاضعة للحكومة الهولاندية .

التعليم في أندونيسيا في يد الحكومة الهولاندية ، وقد سمحت الأهالى بتأسيس مدارس على طراز كاتينينا المصرية ، يتعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة ومبادئ الحساب الخ ، ومعظم الشعب على حالة أمية مظلمة ، وجهل مطبق ، ولهم لغة خاصة بهم لاتمت الى العربية بأضعف صلة ، ولشدة ولع الأندونيسيين بالاسلام ترجمت لهم بعض الكتب الاسلامية ، ككتاب التوحيد للإمام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، وكتاب المدينة والاسلام ، وكتاب الاسلام دين تام خالد مؤلف هذه الرسالة .

فإذا كان للأندونيسيين خمسة مدرسة فهذا عدد ضئيل جدا بالنسبة لعددهم الضخم . فانه إذا كان في مصر نحو عشرة آلاف مدرسة يتعلم فيها نحو مليون من التلاميذ ، والتعليم عندنا لم يبلغ الدرجة الالزامية لجميع الأفراد كما هو في البلاد المتقدمة ، فيجب أن يكون عدد المدارس في أندونيسيا أربعين ألف مدرسة وأربعة ملايين تلميذ لتصل الى الدرجة التى نحن عليها . فأي الخمسة مدرسة من مثل هذا العدد ، وما قيمة ما تنتج هذه المدارس من عارفى اللغة العربية بعد دراسة أربع أو خمس سنين ، ولهجتهم أعجمية باحتة ، وأنت خير بحظ اللغة العربية عند من تنتجهم أمثال هذه المدارس عندنا في مثل تلك المدة ولهجتهم أصولها عربية ؟

فتمنية النفس بتعميم اللغة العربية في بلاد المسلمين الذين لغاتهم أعمجية يمثل هذه الوسائل ، يعتبر اشتغالا بالأوهام ، وتسلييا بالأحلام ، وليس ذلك من مصلحة الدين في شيء .

إن توحيد اللغة في أربعائة مليون نسمة من المحالات العقلية ، ولو أمكن لسعى إليه قبلنا الأوروبيون ، فإن صلاتهم الاقتصادية والسياسية تدعوم لذلك ، ولكثهم لم يعبوه أقل اهتمام ، حتى إن لغة الاسبرنتو العالمية التي وضعها (زمنهوف) ، وحصر أجر وميتها في ست عشرة قاعدة فقط ، وأدخل إليها جميع المحسنات اللغوية ، فاصدا أن تكون لغة العالم المتمدن كله ، نبتت لتعالج اللغات القومية خمسين سنة فلم يرفع بها أحد رأسا ، رغمما ينتظر منها من التقريب بين الشعوب ، ومن تحقيق الوحدة المرجوة بينهم .

فالذي يتوقع أن يكون في الشعوب الاسلامية غير العربية هو أن تنتشر بينهم بعض اللغات الأجنبية ، مما تدعوم ضرورة العيش لتعلمها وحذقها كما هو جار في كل بلد من بلادهم ، أما ما لا تدعوم ضرورة العيش اليه ، ولكن تعظيمهم العاطفة الدينية عليه ، كاللغة العربية ، فلا يحتمل أن ينتشر بينهم إلا نسبة ضئيلة جدا لا يحسب لها حساب .

أمر روسيا نطالب ترجمته للقرآن :

تدليلا على كل ما ذكرناه في الفصل المتقدم نقل لقراءة ما رأيناه منشورا في مجليات جريدة البلاغ المصرية الصادرة في (٢٦ ابريل سنة ١٩٣٦) وهو هذا بحروفه :

« في الوثائق التي نشرها (البلاغ) ونشرتها الصحف في الأسبوع الماضي عن مشروع ترجمة القرآن الكريم الى اللغات الغربية ، جاء ذكر الترجمات التي أذيعت بهذه اللغات ، وما جاء في بعضها من الخروج والتحريف وضرورة وضع ترجمة دقيقة صحيحة تشرف عليها جهة من جهات الاختصاص ، قطعا لمثل هذه الترجمات المغلوطة ، ومحملا على إذاعة المعاني السامية التي تضمنها القرآن الكريم

بين أهل اللغات الغير العربية من أهل الديانات الأخرى ، وبين المسلمين الذين لا يعرفون هذه اللغة .

« فنقول اليوم : إن صاحب الفضيلة السيد محمد نصيف العالم المسكي تلقى في الشهر الماضي كتابا من جزائر جاوا (وهي أكبر جزر أندونيسيا) يتضمن حاجة المسلمين فيه الى مثل هذا العمل وتشكيرهم فيه .

« وخالصة هذه الرسالة أن التعليم الشائع بين سكان تلك البلاد يقوم باللغات الأفريقية ، وفي مدارس لا تعلم اللغة العربية . ولذلك يقرأ المسلمون وأولادهم في تلك المدارس القرآن الكريم في تراجم قام بها مترجمون غير موثوق بأمانتهم ، بل إن بعض هذه التراجم كان لها أثر في إفساد عقائدهم ، لأن بعض القائلين بها كانوا من المبشرين أو من أتباع مذهب الأحمدية في الهند . والذين يقرءون القرآن الكريم في هذه التراجم لا يعرفون ذلك . ويعتقدون أن ما يقرءون هو القرآن الصحيح .

« ثم يقول صاحب الرسالة : إنه بعد أن رأى هذا التحريف في هذه الكتب ، وتيقن خطرها على عقائد المتعلمين في المدارس الأفريقية من أهل تلك البلاد ، نهام عن القراءة فيها ، فطلب منه بعضهم أن يتوجه الى أهل الرأي من المسلمين ، طالبيا منهم العمل على نشر ترجمة للقرآن الكريم يقرها علماء المسلمين ، مع وضع تفسيرات وتعليقات وبيان ما في بعض الآيات من الوجوه والمعاني التي تفهم من الآيات ، لأن الترجمة الحرفية بدون تفسير لا تقوم بتفهمهم القرآن وأحكامه .

« ثم قال : إن وجود هذه الترجمة ضروري لبقاء المتعلمين في المدارس الأفريقية من أبناء المسلمين على حب دينهم وفهمه ، بل فيه إنقاذ لهؤلاء بوجود ترجمة يقوم بها مترجمون موثوق بهم يستغنون بها عن التراجم التي سبق وضعها ، ولأن نشر هذه الترجمة بين غير المسلمين يفيد في البيان عن الاسلام وآداب القرآن وأحكامه وفي إبلاغهم الدعوة المحمدية بلغتهم .

« ونقول بعد ذلك : إن هذه الحاجة التي يشعر بها المسلمون في جزائر جاوا

وغيرها من البلاد الاسلامية الغير العربية دفعت فريقا من علماء المسلمين في الهند الذين يتقنون اللغة الانجليزية الى ترجمة القرآن الكريم مع وضع تفسيرات وتعليقات على هذه الترجمة . وقد اتهاوا من ترجمه ثمانية عشر جزءا ، وقد أشرنا الى ذلك من نحو ثلاثة شهور .

« وقد علمنا أنه بعد الانتهاء من ترجمة الأجزاء الباقية ستكون لجنة للاشراف على طبعها وإذاعتها .

« أما كاتب هذه الرسالة التي خصناها قبلا فهو العلامة السيد عبد الله بن صدقة دحلان في جاوا » انتهى ما استعمرناه من البلاغ .

نقول : وقد أورد البلاغ في العدد الصادر منه في ٣ مايو أن جمعية تكونت في حيدرآباد الدكن ، وأتى على أسماء العلماء ورجال الدولة الذين يقومون به .

هذا ما حدث من أهل أندونيسيا الذي يقول عنهم الأستاذ الشيخ محمد سليمان إنهم أسسوا خمسة مدرسة لتعليم أبنائهم اللغة العربية . والذين يقومون بترجمة القرآن هم علماء الهند السنون ، وهم مشهورون بالورع ، وباحترام التقاليد الاسلامية .

الذي يؤثر من ورع علماء الهند أنهم منذ الاحتلال الإنجليزي الى النصف الأول من القرن التاسع عشر كانوا يفتنون بعدم جواز تعلم اللغة الإنجليزية ، ودخول المدارس التي تؤسسها الدولة المحتلة ، حتى إنه لما رأى المصلح الهندي الكبير أحمد خان أن إضراب المسلمين عن دخول تلك المدارس جعلهم دون الطوائف الوثنية ثقافة ، وأبعدهم بسبب جهلهم عن تولى الوظائف الحكومية ، ومشاورة الهندوس حظه منها ، أهاب ببني قومه لتأسيس جامعة إسلامية ، فأفتى العلماء الهنديون إذ ذاك بأنه زائع العقيدة لارادته التعليم فيها باللغة الإنجليزية . فقبض الناس أيديهم عن مساعدته ، وكاد يفشل في مساعيه ، لولا أن يفض راجات الهنود وأسريائهم أمدوه بالمساعدات المالية سرا ، فتمكن من إنشاء جامعة عليكرة التي كانت مصدرا لنشر الثقافة بين المسلمين هناك ، فاستطاعوا

فضلها أن يحصلوا على بعض الوظائف الحكومية . واستنارت أفكار الناس هنالك ، فأدركوا أن من الذين يجاراة ناموس الارتقاء ، وأن ممحاة الاسلام لا تضيق ساحتها دون طالب كمال ، وأن الأعمال بالنيات ، لا بالظواهر ولا باللغات .

اليابانيون وطبع القرآنه الكريم :

يقول الأستاذ الشيخ محمد سلمان : « واليابان قد فرغت قريبا من طبع مصحفنا بلغته العربية لتشره في أصقاع الشرق الأقصى » .

نقول : الذي يتبادر للذهن من هذه العبارة أن اليابانيين الذين لا يعرفون حرفا من اللغة العربية قاموا بنشر الكتاب الكريم بالعربية ، لنشره في بلادهم وبلاد الصين وكوريه ومنتشوكو وسيام الخ .

واليابانيون لو أقدموا على هذا العمل لعادوا هازلين ، وإلا فأي فائدة ترجى من نشر كتاب عربى بين قوم لا يستطيعون أن يقرءوا منه حرفا واحدا ، بله أن يفهموه ؟ فهل عهد عن أمة اليابان المعروفة بالحكمة وسداد الرأى أن تقوم بعمل يوجب عليها السخرية ، ويسجل عليها السذاجة الى هذا الحد ؟

وحقيقة المسألة أنه توجد جمعية اسلامية قوامها بعض الأتراك والفرس والهنود يعملون على نشر الاسلام في بلاد اليابان بلغة أهلها . وجاههم متنورون ويعرفون العربية ، وقد طبعوا القرآن طباقا للنسخة المطبوعة أخيرا في دار الطباعة المصرية بأمر المغفور له الملك فؤاد الأول ، ليتداولوه بينهم وبين من يعرف العربية ممن يلتحق بهم ، لا بقصد أن ينشروه بين اليابانيين الأفطاح ممن لا يعرفون العربية .

أما فيما يتعلق باليابانيين أنفسهم فقد وردت أخبار على الجرائد المصرية بأن رجالا من الذين يمجذون اللغة اليابانية تهاون الآن بترجمة القرآن الى تلك اللغة ، وأن الحكومة شجعتهم على ذلك وأمدتهم بمال . وقد كتبنا أخيرا الزعيم هذه الجمعية اليابانية نستفهم منه عن المدى الذى بلغته لجنة الترجمة في عملها العظيم الذى شرعت فيه منذ نحو عام .

والقدّيس مرقس والقدّيس لوقا والقدّيس يوحنا ، وقد ضمنوها حياة المسيح ومذهبه « انتهى .

وقد كانت توجد أناجيل كثيرة في العالم المسيحي ضمنّت حياة المسيح وتعاليمه ، منها « إنجيل ميلاد مريم وطفولة المسيح » و « إنجيل متى » وكان منتشرًا في القرون الوسطى ، وهو موجود بالمكتبة الوطنية بباريس . و « إنجيل توما » وموجود بمكتبة فيينا . و « إنجيل جاك الأصغر » و « إنجيل نيكوديم » وكان شائعًا في القرون الوسطى ، وأثر ما لم تؤثره الأناجيل الأخرى على الأدب ، من جهة الاقتباس والاستشهاد . و « إنجيل الطفولة » وهو منسوب للحواري بطرس و « إنجيل مرسيون » . و « إنجيل برنابا » الخ الخ .

المسيحيون لا يرون بأسًا من تعدد هذه الأناجيل لأنها معتبرة عندهم كتبًا وضعت لرواية حياة المسيح وتعاليمه . ولكنهم قرروا في مجملهم أن المتعدّد منها أربعة وقد كتبت بوحى من الله لوضعها القدّيسين متى ومرقس ولوقا ويوحنا .

نعم إن الأصول الأولى لهذه الأناجيل قد فقدت ، ولكن المسيحيين لا يرون في هذا ضيرًا ، كما لا نرى نحن باسًا في ضياع النسخ الأصلية لتسير النبوة وصحیح البخارى وجميع الكتب الاسلامية .

هذه حقيقة موقف النصارى من أناجيلهم ، وبتجليلها يسقط بناء البحث الأول الذى اتخذته الأستاذ مؤلف الرسالة معولًا لهدم مشروع ترجمة معانى القرآن الكريم . فلننظر في الوجه الثانى :

ثانيًا :

قال الأستاذ القاضى ما موجهه : « إذا جاز للخصم أن يرجعوا معانى القرآن ، فانه يجوز ذلك أيضا للهنود والعراقيين والحجازيين وغيرهم . أفلا تكون في الأسواق الأوروبية جملة تراجم متخالفة للقرآن ، وحينئذ يقال مثلا إن الترجمة الهندية خير من الترجمة المصرية أو العكس . وإذا وقع ذلك حصلت

رسالة الرد

على مشروع ترجمة القرآن الكريم

وقفنا على رسالة وضعها فضيلة الأستاذ الشيخ محمد مصطفى الشاطر قاضى محكمة شبين الكوم الشرعية بالعنوان المتقدم يعارض بها مشروع ترجمة القرآن الكريم . وقد ضمنها بحوثًا وبيانات لا نرى بدا من مناقشته فيها ، لأن بقاءها مسكوتًا عنها بعد وقوعها في أيدي الدهماء يوم أن ماجء فيها مسلم به من جميع الوجوه . وقد قدم في رسالته أربعة عشر وجها منعيًا ، لفت إليها نظر حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر . ونحن لنخلص هذه الوجوه ونناقشها فيها واحدا واحدا فنقول :

أولًا :

قال الأستاذ ما ملخصه : ليست اللغات التى يقرأ بها الانجيل اليوم هي لغته الأصلية ، ولا يخفى ما في ترجمته هذه من قصور . وقد قيل إنه اجتمع لترجمته سبعون جبرا لتنعيم نشره بين الأمم فكانت نتيجة ذلك مع تطاول الزمن أن ذهبت اللغة الأصلية والناطقون بها ، وذهب الأصل إلا بعضًا منه في بعض المكاتب .

نقول :

ما ذكره الأستاذ خطأ كله ، فلا يوجد نصراني في العالم يعتقد أن الله أنزل على عيسى عليه السلام كتابا اسمه الانجيل بلغة إلهية ، اجتمع لترجمته سبعون جبرا . ولكنهم يقولون بوجود أناجيل عديدة كتبها جماعة من كبار أتباع المسيح لنشر تاريخ حياته ، من يوم ميلاده الى يوم وفاته ، واستيعاب جميع ما فاه به من التعاليم والوصايا .

جاء في الموسوعة الصغرى للعلامة « لا روس » قوله : « الانجيل بل الأناجيل هي الكتاب المقدس المؤلف من أربع روايات وضعها القدّيس متى

الطعون في التراجم والقرآن . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ، ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على انجيل برنابا الذي يقال إنه أصح الأناجيل .

نقول :

هـب أيها الأستاذ أن الشعوب الاسلامية تتنافس في ترجمة القرآن ، وهذا بعيد يقرب من المحال ، ولكننا نسلم به جديدا . فاذا حصل فإن يكون بينها خلاف ، لأن الترجمة المصرية مثلا ستمتد واحدا من المعاني التي تحتملها بعض الآيات ، وتسير الى بقية الاحتمالات في الهامش ، فاذا اعتمدت الترجمة الحجازية معنى أخسر فهي مضطرة الى ذكر بقية الاحتمالات في الهامش أيضا ، فيكون المعنيان المختاران مائنين في كل نسخة ، أحدهما في الهامش والآخر في الصلب ، ويكون ذلك في نظر الأجانب موضع إعجاب في التدقيق وتحري الصواب .

يقول الأستاذ : إذا حدث ذلك حصلت الطعون في التراجم والقرءان . وتكون حالة التراجم كحالة الأناجيل ولا يمكن حمل الناس على أصحها كما لم يمكن حملهم على انجيل برنابا .

نقول : إن الأستاذ جار على ما فهمه من أن الأناجيل تراجم للانجيل الالهى الأول ، وأنه مطعون في صحتها عند الأوربيين . وقد بينا له في الفصل المتقدم أنه لا وجود لهذه المسألة عند النصارى ، وليس فيهم من يقول إن انجيل برنابا أصح ترجمة للانجيل ، فليس انجيل برنابا بترجمة ولكنه سيرة للمسيح كسائر الانجيل ونعنها برنابا تلاميذ القديس بولس المتوفى سنة ٦٧ ميلادية . ولم يقل أحد من النصارى إن انجيله أصح الأناجيل ، بل قالها المسلمون بمعنى أن ما ذكره موافق للقرآن الكريم .

هذه حال الوجه الثانى الذى يستخدمه الأستاذ في هدم المشروع الجليل ، فنلتظر في الوجه الثالث :

ثالثا :

قال الأستاذ ما مختصره : « إذا ترجم معنى القرآن الى الانجليزية تم ترجمت هذه الترجمة الى الفرنسية ، فما رأى إذا تغير المعنى الاصلى في الترجمة الثانية ؟ وما ذا يكون المحال إذا تنازع قارئان مسلمان أحدهما معتمدا على الترجمة الانجليزية والآخر على الفرنسية ، فدعى أحدهما أن هذا المعنى أو ذلك غير موجود في القرآن ، وادعى الآخر العكس ، أولا يعتبر واحد منهما كافرا لا محالة ؟ كذلك يقال إذا كان في الترجمة الانجليزية خطأ وأعيد طبعها وتكرر ذلك الخطأ » .

نقول :

الأستاذ يفترض أن الرجلين مسلمان ، فاذا كان كذلك فلا يوجد مسلم على سطح الأرض يتعصب لترجمة مأخوذة من ترجمة أخرى ، لم تعتمد عليها حجة رسمية ، وبخاصة لو تنازع في صحة ما هو بين يديه من الترجمة المسأخوذة عن ترجمة أخرى لاعن الأصل العربى مباشرة . فهل يصح أن يفترض المحال لتأييد الآراء ؟ ولوسلمنا بأن مغفلا أو معنوا ارتضى لنفسه مثل هذا الشطط أفتمطل دعوة الاسلام العالمية لمثل هذه العلة التافهة ؟

وإذا ساءت أمثال هذه الافتراضات ، فلم لا نفترض أن كاتبنا للقرآن أخطأ في كتابة كلمات غيرت منه معنى عدة آيات ، ولا تخفى سذاجة النسخ ، فوقع هذا المصحف في يد مسلم فقرأ هذه الآيات خطأ ، فلما أراد سامع له أن يردّه الى الصواب أصر على ما في مصحفه من هذه الأخطاء واعتبر كافرا . أفترقر لهذا السبب التافه عدم جواز كتابة القرآن بأيدي المحترفين بهذه الصناعة وغير المحترفين بها أيضا ؟

رابعا :

قال الأستاذ في رسالته ما محصله في استسكاله الرابع : « إذا أجزى نقل القرآن الى اللغة الانجليزية ، أجزى نقله الى اللغة السودانية ، فهل يضمن أن لا يقرأ السودانى بعض القرآن بلقظ عربى وبعضه بلغمته السودانية ؟ وفي هذا

تبديل وتغييراً لفاظ القرآن، ويتبع ذلك اختلاف في معانيها. وقد يتفق لبعض المتمدنين بمصر مثل ذلك، فيقرون منه ألفاظاً بالعربية وأخرى بالانجليزية. فإذا اعترض عليهم احتجوا بأن المشيخة تبيح قراءته باللغتين. فهل لجنة الترجمة أو مشيخة الأزهر تستطيع أن تضع للناس قواعد يلزمون بالسير عليها ؟

تقول :

إن هذا وجه استقطره الأستاذ من مادة المعارضة استقطاراً متكلفاً، ولو صح أن يبنى على مثله حكم لا يمنع الناس من عمل ضروريات كثيرة. لأنه يمكن أن يقال إن إباحة بيع المصاحف في المكتبات يفضي إلى وقوع نسخ منه في أيدي بعض الكفرة فيضمونه في بؤر النجاسات. وعليه فيجب تحريم بيع المصاحف في المكتبات، إلا لمن يبيده شهادة من جهة الاختصاص بأنه مسلم حسن الإسلام. ويمكن أن يقال: إن ما غصت به كتب الحنيفة من جواز الصلاة بالقرآن مترجماً لا يحسن العربية يمكن أن يفضي إلى أن بعض الذين يحسنونها يصلون بالترجمة الانجليزية والفرنسية والألمانية والاطالية وغيرها، وعليه فيجب على الحكومات الإسلامية نحو هذا الفصل من كتب الحنيفة وعدم السماح بدخول تراجم القرآن الأجنبية.

ويمكن أن يقال: قد تتفق بعض الكتب التي ذكرت الفرق الإسلامية في أيدي من لا يفهم الردود عليها فيصبح بسببها إباحياً أو مشهاً أو دهرماً فيكفر، فيجب إيداع تلك الكتب وعدم السماح بطبع أمثالها.

ويمكن أن يقال غير هذا مما لولناعتنا الخيال فيه وجربنا عليه واستطعنا تنفيذه لأصبح الناس في ظلام حالك من الجهل، ولكانوا هم والسواهم في حضيض واحد من العماية.

ولكننا نطبع القرآن بالعربية، وننشط الناس على اقتنائه، غير مباليين أن يكون فهم كافر أو زنديق يفعل به ما بداله، فإن حسابه عند ربه، وهو المستول وحده عما جنت يده.

ونفشر كتب الحنيفة والكتب التي تذكر الفرق والنحل، ونعمل على

ترويجها هداية الناس، غير مكتئين أن تقع في يدغبي أو مغفل فيصبا إلى بعض تلك المذاهب، فتبعته على نفسه.

وكذلك ترجم معاني القرآن للذين لا يعرفون العربية غير آبهين أن يخلط بين الكتاب المنزل والمترجم طائس متهوس، فان طأثره في عنقه.

فمن الذي يستطيع أن يلزم الناس بأدب لم يكتب إلا للأكرمين من خلق الله، وكيف يعقل أن تمنع الأمم عن القيام بالواجبات الثقافية خوفاً من تخليط الحقي والطيش من أبنائها ؟

خامساً :

اليك الآن مجمل ما قاله الأستاذ في الوجه الخامس، قال: « إن المفسرين ما زالوا قاصرين مقصرين في معرفة معاني القرآن، فانه لا تنقضي عجائبه ولا يدرك غوره. وقد يكون لواحد رأى في آية ولغيره رأى آخر فيها ولكلها وجه صحيح وحجة. فعلى أي معنى تختار اللجنة واحداً من هذه للمعاني وبأي قانون ترجعه على غيره ؟

« وإذا رجحنا رأياً وترجمناه ثم ظهر لنا أن رأياً آخر أصح منه أفغير الترجمة فيقول الناس إننا نغير في قرءاننا، أم نترك الخطأ على حاله ؟

« مثال ذلك: قال الله تعالى: « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين »، فسر بعضهم الزوجين بالصفين. ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى. فإذا ترجم القرآن بالمعنى الأول، ألا يكون هذا المعنى قد أضع علينا هذه المعجزة ؟

« وقال تعالى في سورة يوسف: « لولا أن رأى برهان ربه »، فسرها بعض المفسرين بأن المراد بالرب هنا الله. فإذا ترجم هذا المعنى ثم ظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفتبقى الخطأ أم نغيره ؟

« وقال تعالى: « والله الذي أوسل الرياح فتنير سبحاناً فسقناه إلى بلد ميت — الآية »، فإذا ترجم تير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى

يعتقد الأستاذ، ولكننا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى الى درجة التعطيل، واعتباره طلسمًا تفضل العقول في فهمه، ولا تصل منه الى حقيقة ثابتة، فان هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه في غير آية بأنه آيات بينات، وبأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات، حتى قال: « ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر »، قال المفسرون أى سهلناه للاعتاظ. وكرر هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة. فلا يجوز أن ندعى أن ما يسره الله للتذكر والاعتاظ معنى لا يمكن فككه، وطلسم لا يستطيع حله.

نعم إن المفسرين بعد القرنين الأولين تذرعو بالفنون الآلية التي وضعوها لضبط قواعد اللغة، من نحو وبيان وبدعي ومعان، الى زيادة التعق في تحميم المدلولات القرآنية تحت ضوء هذه العلوم، فتعددت مدلولات بعض الآيات لهذا السبب، وأكثر هذا التعدد آلى محض، ولكن المعاني لم تخرج قط عن دائرة الفهم، فلم يدع أحد أن القرآن لم يفهم في عصر من العصور، اللهم إلا الآيات المتشابهة، وقد أمر المسلمون أن لا يحاولوا تأويلها لا فهم معناها، خشية عليهم من شر الاختلاف فيها والذهاب في أمرها كل مذهب.

وكيف يمكن أن يقال إن محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها وقد انبنى عليها الدين كله عقائده وعباداته ومعاملاته؟

فاللجنة التي استدعى لترجمة القرآن تنتظر في المعاني التي قررها أئمة المفسرين للآيات، فان أسسوا في بعضها خلافا بينهم عمدوا الى اختيار ماركضه جمهورهم، مشيرين في الهامش الى بقية الاحتمالات. فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء. ولا يعقل أن معنى الآيات يخرج عنها بوجه من الوجوه. فلا محل والحالة هذه لنقول الأستاذ: (وإذا رجحنا رأياً وترجمناه فم ظهر لنا أن رأياً آخر أصبح منه أفضح الترجمة؟). نعم لا محل لهذا الاحتمال، وإلا دب الشك الى المسلمين في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم، فان شبهة الأستاذ ترد على ما فهمه الأئمة المجتهدون منه أيضاً. وهذا خطب جلى لم يجر على مثله أحد في الاسلام. وما دفع الأستاذ اليها إلا هواه في معاكسة المشروع.

البدعي الذي يفهم من لفظ تثير، لأن الاثارة هي التهييج الحسى والمعنوى. وهو مبدأ عملية التبخير وتكوين الأمطار. وفرق بين معنى فتسوق سحابا الى بلد ميت وبين معنى فتثير ما يؤول الى سحب، فسقناه الى بلد ميت. هذا المعنى لم يظهر إلا حديثاً وهو إحدى معجزات القرآن.

« وقال تعالى: « وفرعون ذى الأوتاد » فسر ذى الأوتاد بكثرة الجنود. أو بأنها أوتاد أربعة كان فرعون يعذب بها الناس. فإذا ترجم هذا المعنى ضاع المعنى الجليل الذي يدلنا عليه التاريخ، وهو أن الأوتاد هي هذه الأهرامات لأنها تشبه الجبال وقد عبر الله عن الجبال بالأوتاد فقال: « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتاداً ». وكنا معرضي القرآن لتكذيب المؤرخين لأنه لم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنوداً حتى يوصف بهذا الوصف دونهم، ولا أنه كان يعذب الناس بأوتاد.

« وقال تعالى: « والأرض بعد ذلك دحاها » فإذا ترجم دحاها بمعنى بسطها، ضاع المعنى الذي يؤخذ من الدحو وهو التكوير.

« وكذلك إذا ترجم: « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذي يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذي يفهم من الآية وهو كروية الأرض. وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن.

« وقال تعالى: « حتى توارت بالحجاب » فسرت بتوارى الشمس خلف الحجاب، وبأن سليمان عليه السلام عاقب الخيل التي شغلته عن الصلاة بتقطيع أيديها وأعتاقها. فإذا ظهر لنا أن المعنى الصحيح هو أنه لما عرضت عليه الخيل أجبته وكانت سبباً في شكره. فلما اختتمت عنه وراء الحجاب أمر بردها ليلاطفها، ويمسح بيده على أعناقها وسوقها، قلنا إذا ظهر لنا أن هذا المعنى هو الحق أفضح الترجمة الأولى أو نعمل ترجمة غيرها فنكون قد قلنا النصرارى في تعدد التأجيل؟ »

نقول:

نحن نعتقد أن القرآن كتاب لا تنقضى عجائبه، ولا يدرك غدوره، كما

ولكن يظهر مما أورده الأستاذ من الآيات أنه لا يريد بما يقول معنى آيات العقائد والعبادات والمعاملات — وإن كان لم يستثن فيما قال — وإيما أراد الآيات الكونية والتاريخية والمتشابهات . وهذه أيضا لا تضرها الترجمة بوجه من الوجوه ، فإنت اللجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربي ولا تتعرض لشرحها ، فمثل قوله تعالى : « والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيننا به الأرض بعد موتها كذلك النشور » ، مثل هذه الآية تتولاها لجنة التفسير فتعطي معناها الصحيح اللجنة الترجمة لترجمه ، دون أن تتعرض لما تشير اليه الألفاظ من الدلالات العلمية ، ولكنها تجتهد في ترجمة كلمة تثير مثلا بجميع خصائصها اللغوية ، تاركة دلالاتها العلمية لمقول القارئ ، فتاديا من الوقوع في مثل الخطأ الكبير الذي وقع فيه الأستاذ صاحب الرسالة في هذا المواطن نفسه ، كما سيحيى بيانه ، وحفظا للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرراته الحالية ، وهو دائم التغيير كما هو مشاهد من الاطلاع على تاريخه .

فنحن نترك كليات القراءة على ما هي عليه من الاطلاق لتأخذ منها العقول ما يتاح لها فهمه تحت ضوء العلم في جميع العصور . فاذا رجع العلم عن شيء من مقرراته الى مقررات أخرى فلا نكون قد أسأنا الى كلام الله بصره على معان معينة قابلة للتحويل ، تبعا للمسكتشفات الطارئة . وهنا يسوغ لنا أن نقول : إذا جريتنا على مذهب الأستاذ من الشرح ورجع العلم عن رأيه الأول أنعيد إذ ذلك ترجمة القراء أن أم نترك الترجمة على خطئها ؟ ولكن الترجمة على الأسلوب الذي نذكره لا تجعل محلا لمثل هذا التدم بعد النورط في الخطأ .

نظرة في الآيات التي أوردها الأستاذ :

أورد الأستاذ سبع آيات استشكلت على مشروع ترجمة معاني القراءان ، وقد أراد الحق سبحانه وتعالى أن يحيط فيها جميعا ، فكان خطوه هذا دليلا

محسوسا على صحة ما نذهب اليه من ترك كليات القراءان مطلقة ، وعدم تقييدها بامور محدودة . ونحن لسردها واحدة واحدة دالين على وجوه الأخطاء فيها :

الآية الأولى :

أورد الأستاذ قوله تعالى : « ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين » ثم قال : « فسر بعضهم الزوجين بالصفين ، ولكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى ، فاذا ترجم القراءان بالمعنى الأول ألا يكون هذا المعنى قد أضاع علينا هذه المعجزة ؟ » .

نقول :

قال المفسرون : زوجين هنا بمعنى صنفين ، أى حلو وحامض أو كبير وصغير أو أبيض وأسود الخ . وهذا التفسير أوجه وأصح من تفسير الأستاذ ، لأن الذكر والأنثى هما من أعضاء الأزهار لا الثمار . فقد يكون هذان العضوان في زهرة واحدة ، وقد يكونان في زهرتين مختلفتين من شجرة واحدة ، وقد يكونان في زهور شجرتين مستقلتين . أما الثمار فليس فيها ذكر ولا أنثى على الاطلاق .

وقد كان هذا الأزواج النباتي معروفا من أقدم العهود . حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه ، فكانوا يلتحقون إناث النخل بالطلع المستخرج من ذكورها ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه يلتحقون بظلم فقال لهم : لو تركتموه لأثمر ، فتركوه فلم يثمر ، فشكوا اليه ، فأمرهم أن يعدودوا لما كانوا عليه ، فاثلا لهم : « أتم أعلم بأمر دنياكم » .

والذي يدل دلالة قاطعة على أن المراد بالزوجين الصنفان ، لا الذكر والأنثى ، قوله تعالى عند ذكر الجنين التين وعد بهما المتقون : « فيهما من كل فاكهة زوجان » أى من كل نوع من الفاكهة صنفان ، ولا يمكن صرفه بحال من الأحوال الى المعنى الذي يريد الأستاذ ، لأن المقام مقام تشويق للذات

الأخروية ، لا مقام استدلال على وجود القدرة الالهية ، بلقت الأظار الى الحكمة التكوينية .

ولا يعقل أن الله تعالى يعزو ما هو خاص بالأزهار الى الخار ، لأن ذلك فضلا عن مناقضته للبلغة التعبيرية ، يتنافى والحقائق العلمية .

الآية الثانية :

قال الأستاذ : « قال الله تعالى : « لولا أن رأى برهان ربه » فسرها بعض المفسرين بأن المراد برب هنا الله فإذا ترجم هذا المعنى وظهر أن المراد بالرب هو سيد البيت أفنتبى الخطأ أم غيرهه ؟ »

نقول :

كيف يعقل أن ينضح في يوم من الأيام أن المراد من « برهان ربه » هنا برهان سيد البيت الذي اشتراه ، وليس في الآية ما يدع محلا لأقل احتمال من هذا القبيل ؟ قال الله تعالى : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين » فأى برهان يملك أمير وثى ، يستطيع أن يدبى به لثبي ، في مزدلق خضير من مزدلاقات الطبيعة البشرية ، ليقبم على عصمة لا يملكها نفسه ؟

وإذا كان البرهان المذكور هو برهان سيد البيت لا برهان الله ، فكيف يسوغ أن ينسب الله أثره على يوسف لنفسه فيقول : « لنصرف عنه السوء والنحشاء » ؟

ومن الدلائل القاطعة على أن المراد من لفظ الرب الله جل شأنه ، أنه أضاف لفظ برهان الى نفسه في غير آية من القرآن فقال : « يأبىها الناس قد جاءكم برهان من ربكم » وقال : « فذالك برهانان من ربك » ولم يصف هذه الكلمة لغيره في القرآن كله .

وما يُرِيد تفسيرنا هذا ما قاله الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم »

هذه محاولات لا تمجدى تقعا ، ولا يقام لها وزن ، ولا تفيد في عرقلة مشروع الترجمة وزن خردلة ، ولكنها تم عن ضعف فاضح لأدلة المنع يسوء وقعه عند المدلين بها وعند أشياعهم .

الآية الثالثة :

قال الأستاذ القاضي : « وقال تعالى : « والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت » فإذا ترجم تثير بتسوق كما فسره بعض المفسرين ضاع المعنى البديع الذى يفهم من لفظ تثير وهو عملية التبخير وتكوين الأمطار ، وهذا المعنى لم يظهر إلا حديثا وهو إحدى معجزات القرآن » .

نقول :

المعروف في علم الطبيعة أن الذى يحدث التبخير في المياه والظوابط عاملان : الحرارة المركزية للأرض ، والحرارة الجوية للشمس . أما الرياح فلا تأثير لها في التبخير ، ولم يقل بذلك أحد على سطح الأرض . فإذا فسرت عبارة تثير سحابا في الآية الشريفة بعبارة تحدث تبخيرا فتؤلف سحابا ، كان هذا المعنى موجبا للسخرية عند جميع الذين قرءوا على الكيمياء والطبيعة والمتيورولوجيا (علم الظواهر الجوية) من أهل العصر الحاضر . وهل من شئ أسوأ وقعا في النفس من نسبة المعلومات الى غير عليها ، وهل تتصور جريمة أكبر تبعة من نسبة هذه الجهالات الى الله نفسه ، بتأويل مالا يقبل التاويل من كلامه ؟

هذا وقد كان العلماء يعرفون أن الأبخرة الأرضية هي المؤلفعة للسحب قبل بعث عيسى عليه السلام بنحو خمسة عام ، وقد نصت عليها كتب الطبيعيات لطاليس وديموكريت وأرسطو وغيرهم . فليست هذه المسألة بشعرة من ثمرات المكتشفات الحديثة .

الآية الرابعة :

قال الأستاذ : « وقال تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد » . لو قسر بكثرة الجنود ، أو بأنها أوتاد كان فرعون يمدب بها الناس ، ضاع المعنى الجليل الذى يدلنا عليه التاريخ ، وهو أن الأوتاد هي هذه الاهرامات ولم يثبت أن فرعون كان أكثر الملوك جنودا الخ » .

نقول :

إن العالم كله كان يعرف أن في مصر أهرامات بناها الفرعاعة الأولون منذ نحو خمسة آلاف عام ، فليس في التنويه بها كبير شيء حتى يوصف بأنه « نى جليل يضيع علينا بجهد المفسرين له .

لننظر الآن هل في إطلاق لفظ الأوتاد على الأهرام شيء من الجمال المعنوى الذى يصح نسبته الى الكلام الألهي ؟

نعم إنه سبحانه وتعالى قال : « ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا » تشبيها لها بأوتاد الخيمة ، إذ تستخدم في منعها من المبدان ، كما تستخدم أوتاد الخيمة في ذلك . ولكن أى فارق بعيد بين أصغر تل في الأرض وبين أطول هرم من الأهرام ؟ إن ارتفاع الهرم الأكبر لا يجاوز مائة وخمسة وأربعين مترا ، وطول قاعدته لا يزيد عن ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين مترا ، فأين هو من جبل جملالا الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف ومائة متر ويشعل شمال الهندكاه ، أو جبالأندة في أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعدتها نحو سبعة آلاف كيلو متر وارتفاعها بضعة آلاف من الأمتار ؟

لا جرم أن هذه الجبال يصدق عليها أن تسمى أوتادا للأرض ، أما الأهرام وهى لا تساوى في طولها وعرضها أصغر تل في الأرض ، فلا تصلح أن تسمى أوتادا لها ، والله يتزهد عن مثل هذه المبالغات الكلامية .

ثم إن هذه الاهرام جعلت قبورا للذين بنوها من الفرعاعين ، ولم يكن فرعون موسى من الذين شيدها ، بل كان بينه وبين أجدتها نحو ثلاثة آلاف عام ، فلا تصح نسبتها اليه وهو لا يملك حتى ولا أن يدفن فيها .

أما التفسير الصحيح لهذه الآية والذى تشير اليه بقيتها فهو ما قاله المفسرون من أن « ذى الأوتاد » كناية عن كثرة جنوده . قال الله تعالى : « وفرعون ذى الأوتاد الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد » ، فذكر الطغيان في البلاد هنا وإكثار الفساد فيها يدل دلالة صريحة على أن المراد بذى الأوتاد الكناية عن كثرة الجنود .

يقول الأستاذ : « إن فرعون لم يكن أكثر الملوك جنودا » . نقول : بلى ثبت ذلك ، فان الفرعاعة في أيام دولتهم كانت لهم الزعامة الحربية في الأرض : وهذا مما لا يختلف فيه اثنان .

على أن الآية تدل على كثرة جنوده فحسب ، ولا تدل على أنه كان أكثر الملوك جنودا ، فلا وجه لاعتراض الأستاذ من هذه الناحية أيضا .

الآيتان الخامسة والسادسة :

قال الأستاذ : « وكذلك إذا ترجم : « والارض بعد ذلك دحاها » بمعنى بسطها ضاع المعنى الذى يؤخذ من الدحو وهو التذكوير » .

قال : « وكذلك إذا ترجم ، « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » بالمعنى الذى يذكره بعض المفسرين ذهب المعنى الذى يفهم من الآية وهو كروية الأرض وبذلك تضيع معجزة من معجزات القرآن » .

نقول :

لم يرد في اللغة قط أن الدحو بمعنى التذكوير ، وإنما هو بمعنى البسط . وأما التذكوير فهو اللف ، فيقال كور العمامة أى لفها . ويقال كور المتاع أى جمعه وشده ولفه على جهة الاستدارة ، وعبارة الأساس : وضع بعضه على بعض .

والذى قاله المفسرون : « والارض بعد ذلك دحاها » أى بسطها ومهدها للسكرى ، ويدل على صحة هذا التفسير قوله تعالى بعد ذلك : « أخرج منها ماءها ومرطها » ، والمقام مقام تذكير بنعم الله على الانسان وتهيئته الأرض له ، لا مقام الدلالة على شكل الأرض .

وقال المفسرون في تفسير: « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل »
أى يغشى كل واحد منهما الآخر كأنه يلقه عليه لف الياس بالياس، أو يغيبه به
كما يغيب الملقوف باللقافة، أو يجعله كارا عليه كروا متتابعاً تتابع أكوار
العمامة (البيضاوى).

هذا هو زبدة ما قاله المفسرون، ويدل عليه قوله تعالى: « يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل »، فيأجلاجه أحدهما في الآخر هو إغشاؤه أحدهما
الآخر. وقال تعالى: « يغشى الليل النهار » أى يغطيه به. ولا يؤخذ منه
من طريق قريب أو بعيد أنه يشير الى كروية الأرض، فاستقر الرالكلام على هذا
الوجه يخرج عن حقيقته، ويجمله قابلاً لجميع الاحتمالات بدون أن يمت إليها
بسبب. ولا ندرى نحن ما الموجب لهذا الجهد المضني كله؟ إلا اثبات معجزة علمية
للقرآن من ناحية كونه نه الى كروية الأرض قبل أن يقطن الى ذلك أحد؟
فليريحوا أنفسهم، فإن تاريخ المقررات العلمية قد أثبت أن سقراط وأفلاطون
وأرسطو وغيرهم قد قالوا بكروية الأرض قبل ظهور المسيح بأكثر من أربع مائة
سنة، بل نقل عن كبير الفلاسفة فيثاغورس الذي كان عاشاً قبل المسيح بنحو
خمسة قرون أنه لم يقل بكرويتها غيب، ولكن بدورانها أيضاً حول الشمس.
وخالفه في ذلك الفلكي اليوناني الاسكندر الكبير (بطليموس)، الذي كان
عاشاً قبل المسيح بقرن ونصف قرن، فانه مع تسليمه بكرويتها لم يسلم بدورانها
حول الشمس. وبقي مذهبه شائعاً حتى نبع الفلكي البولوني المشهور كوبرنيك
الذي كان عاشاً في القرن السادس عشر، فقرر صحة مذهب فيثاغورس وأيده
بالأدلة الرياضية.

الأية السابعة:

قال الأستاذ: « قال تعالى: « حتى توارت بالحجاب »، إذا ترجم المعنى الذى
يقوله المفسرون من أن الشمس غابت في الحجاب، وبأن سليمان عليه السلام
عاقب الخليل بتقطع أيديها وأعناقها لأنها أهنته عن الصلاة، ثم ظهر لنا المعنى
الصحيح الذى لا يقبل العقل سواه، وهو انه لما عرضت عليه الخليل أجيته

وأحبها لأنها كانت سبباً في شكره ربه، فلما اختفت عنه أمر بردها اليه
ليألفظها بالمسح بيده على أعناقها وسوقها، إذا حدث ذلك أفتغير الترجمة أم
نعمل غيرها فنكون قد قلنا النصرارى في تمدد الأناجيل؟ ».

تقول:

إننا نأتى بنص الآيات أولاً ثم نحكم الأستاذ إليها. قال الله تعالى: « وهل
أتاكم نبا الخضم إذ تسوروا المحراب، إذ دخلوا على داود ففزع منهم؟ (لأنهم
ملائكة هبطوا عليه من السقف)، قالوا لا تخف، خصمان بغى بعضنا على بعض،
فاحكم بيننا بالحق ولا تفسط واهدنا الى سواء الصراط. إن هذا أخى له تسع
وتسعون نجمة ولى نجمة واحدة فقال أكفلفتها وعزنى فى الخطاب. قال لقد
ظلمك بسؤال نجمتك الى نجاجه، وإن كثيراً من الخبطاء ليبنى بعضهم
على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم، وظن داود أنما فتناه
فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب (أى وتاب) فغفرنا له ذلك، وإن له عندنا لى
وحسن مآب ».

ثم قال تعالى: « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب (أى رجاع
الى الله بالتوبة)، إذ عرض عليه بالعضى الصافات الجياد، (العضى قبيل المغرب)
فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب، (أى آثرت
حب المال على ذكر ربي حتى احتجبت الشمس وفانت الصلاة)، ردوها على،
فطلق مسحاً بالسوق والأعناق ».

بمجرد النظر في توالى هذه الآيات، يدل على أن الله يذكر صفات الانبياء
في سرعة الرجوع عما يبدر منهم من بعض الهنات، والعصمة المطلقة لله،
فذكر أولاً أن داود كان يريد أن يضيف امرأة أحد أتباعه الى نسائه التسع
والتسعين، فطلب الى زوجها أن يتنازل له عنها فأرسل الله اليه ملائكة
يختصمون أمامه في مسألة من جنس ما هو واقع فيه. فكان حكمه: « لقد ظلمك
بسؤال نجمتك الى نجاجه، » وعند نطقه بهذا الحكم أدرك أن الله قد فتنه
بما طلبه من أحد رعاياه، « فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب » أى وتاب.

ثم نرى هذه القصة بقصة ابنه سليمان بعد أن وصفه بأنه أواب أى تواب . وتلخص قصته في أنه عرضت عليه خيل جياذ قبيل الغروب فأعجب بها حتى شغلته عن الصلاة فاستعادها إليه . وقد اختلف المفسرون في مسح سوقها وأعناقها ، فقال بعضهم : أى أخذ يضرب سوقها وأعناقها بالسيف . وقال بعضهم : بل أخذ يمسح هذه الأجزاء بيده ملاطفة لها .

فالذي يتبادر للذهن من أول نظرة أن توابيل الأستاذ القاضى غير صحيح ، فقد بدأ الله الكلام فيه بان سليمان كان أوابا أى توابا من ذنوبه . ثم أخذ يحكى ما حدث منه دلللا على أنه كان متصفا بهذه الفضيلة . فذكر أنه قد عرضت عليه جياذ صافنات فاخذ يتأملها ، ثم لما تبين له أنها ألهته عن العبادة ^١ : « إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب » أى إني قد آثرت حب المال على الصلاة حتى غابت الشمس ، فأمر بردها إليه وأخذ يضربها بسيفه احتقارا لشأنها في جنب الصلاة .

هذا التفسير لا يمكن بحال من الأحوال أن يعدل عنه ، لأن نص الآية يحول دون غيره . فليطمس الأستاذ بالافن يتضح في يوم من الأيام أن توابيله مما يمكن قبوله مهما تحل له من الأسباب .

المعجزات العلمية للقرآن الكريم :

إننا مع اعتقادنا الجازم بأن القرآن حافل بالمعجزات العلمية ، ورغما عن أننا سبقنا جميع المتكلمين في الاسلام فأثبتنا عددا عظيما منها في عشرات من المقالات نشرناها ، إلا أننا لا نجوزلأ نغفنا أن نعالجها علاجا عنيفا ، وأن نستقصر الكلام لها استقظارا ، فان ذلك يعد إخلالا بالأدب الواجب للكلام الالهى ، ويفضى الى كثرة الجدل فيه بين المتبئين والنافين ، وليس هذا من مصلحة الاسلام في شئ .

وإن من الخطر العظيم أن يعالج الكلام في الآيات على هذا النحو ، رجال لم يطلعوا على تاريخ المقررات العلمية ، فيحكوا بسبق القرآن الى تقرير حقائق اهتدى اليها العلماء والباحثون قبل نزول القرآن ، فيتذرع الخصوم بذلك الى الضلعن في كفاياتنا العلمية ، ويتهموننا بنقائص نجد أنفسنا عاجزين عن التبرؤ منها .

وقد رأى القراء أن كل ما قرره الأستاذ صاحب الرسالة من سبق القرآن الكريم اليه ثبت خلافه ، فضلا عما ذهب اليه من الآراء المناقضة للعلم الطبيعي نفسه في تحليل بعض الظواهر . فهذا ليس بكبير خسب ، ولكنه على جانب عظيم من الاضرار بالادعوة الاسلامية ، حتى في البلاد العربية ، فان المتعلمين متى أنسوا أن الذين يقومون على صيانة العقائد لا يصر لهم بالمقررات العلمية الى هذا الحد ، تتداخلهم الشبهات في كفايتهم ، ويحماهم ذلك على التشكك وإساءة الظن بكل ما يجيىء من ناحيتهم .

ولو ترجمت أمثال هذه الهنات الى لغة أجنبية كان أثرها بعيدا في الابعاد عن الاسلام للسبب المتقدم عنه .

فالقرآن ترى في ناحية الابهاز ثروة لا يمكن تقديرها ولا على وجه التقريب ، ولكن هذه الناحية لا تتجلى إلا لأهل البصر البعيد في العلم والفلسفة ، وتاريخ تطورات العقلية الانسانية ، وإنهم ليشككون العجز ، ويمترفون بالتقصير ، ويودون لو أوتوا قوات معنوية فوق قواتهم ليدركوا بعض ما قدر للناس إدراكه من هذا النور السواوى الكريم .

سادسا :

نأتى الآن على الاستشكال السادس من الأربعة عشر استشكالا التى أوردها الأستاذ صاحب الرسالة ، فإليك خواهه : « إن أغلب (فضيلته يقول أغلب) آيات القرآن قد اختلف في معناها وقد يذكرون للجملة الواحدة معانى عديدة ، فهل عمل الناجحة ترجمة جميع تلك المعانى أو واحد منها . فان كان الأول اتهم الأوربيون المسلمين بانهم مترددون في فهم قرآنتهم . وإن كان الثانى فرجا كان ذلك المعنى غير مراد أو يثبت العلم في المستقبل أنه غير صحيح » .

تقول :

إننا أيدبنا رأينا في مثل هذه الشبهة في الوجه المتقدم ، وقلنا إن تلك الخلافات في المعانى حدثت بسبب ما طبق عليها من العلوم الأكلية التى وضعت في القرن الثانى ولكنها لم تخرج الكلام عن دائرة الفهم ، فنحيل القارئ اليه .

سأبأما :

قال الاستاذ ما مؤداه : « إن النظم المعجز للقرآن جزء من ماهية القرآن فهل في إمكان الحنيفة أن تترجم معنى القرآن بما فيه هذا الجزء ، أو يتكونه فتجسء الترجمة خالية منه وهو بمثابة الروح للقرآن ، والجسد بدون الروح لا فائدة فيه » .

نقول :

أما ترجمة القرآن الى لغة أجنبية بنظم معجز فهذا ما لا سبيل اليه ، وإنما المراد ترجمة معانيه فقط ، وقد أجاز الحنيفة ذلك ولم يجعلوا النظم المعجز ركنا ، ولذلك قالوا تصح الصلاة به مترجما .

أما قول الأستاذ : إن النظم المعجز هو روح القرآن ولا يقوم جسد بلا روح ، فهو عكس الواقع ، فان روح كل كلام هو معناه ، وأمانظمه فهو الجسد . فترجمة القرآن الكريم تنشر روحه بين العالمين ، وهذا أمر لا يستهان به في هدايتهم الى الحق اليقين .

وهل بناء على قاعدة الاستاذ يجب علينا أن نمتنع عن ترجمة كتب العلوم ، إذا كنا لا نستطيع أن نأتى في ترجمتها على عبارات تساوى براعة مؤلفيها في البلاغة ، فلا نستفيد من معانيها لهذا السبب ؟ وهل في هذا الموطن يمكن أن يقال إن بلاغة الكتاب هي روحه ولا فائدة في جسد بلا روح ؟ هذا ما لا يقول به أحد في الارض .

نأمننا :

قال الاستاذ ما زبده : « إن جمهور المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن . وهم حين أجمعوا على ذلك لم يقصدوا ترجمته لفظة بلفظة ، لأن ذلك محال ، ولكنهم قصدوا ترجمة معناه . فأضافة المقترح كلمة (معنى) ما هي إلا للتفادى من أن يقال هذا خروج مما أجمع على عدم جوازه المسلمون »

نقول :

ليس بصحيح ما يقوله الأستاذ من أن المسلمين أجمعوا على عدم جواز ترجمة القرآن ، وهو نفسه قد أورد مذهب الحنيفة في رسالته ورد عليهم ، ونقل ردودا عليهم عن علماء آخرين ، فهل يصح مع جواز الترجمة في مذهب هو أكثر مذاهب المسلمين أتباعا أن يقال أجمع المسلمون على عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ؟

فإذا كان في الأرض أربعائة مليون مسلم فان منهم نحو مائتين وخمسين مليوناً يتبعون مذهب أبى حنيفة ، والباقيون يتبعون سائر المذاهب ، فأين الاجماع والأمر كما ترى ؟

وتقولون إن من المحال ترجمة القرآن لفظاً بلفظ ، فكيف تقولون ذلك وقد شرط الحنيفة ذلك لصحة الصلاة بالترجمة ، وهم حين شرطوا ذلك عرفوا أن ذلك ليس بمحال ، لان الامام كان فارسياً وفي أتباعه فرس كثيرون كانوا يعرفون أن ذلك ممكن ولو في التفامحة وبعض الآيات الضرورية للصلاة . وكل طرف بلغة أجنبية يعرف أن التفامحة وغيرها من بعض قصار السور يمكن ترجمتها كلمة إزاء كلمة .

وإذا كان الامام الأظم وأصحابه يرون ذلك محالاً فلم يجوزوا الصلاة بالقرآن مترجماً ؟ أفعلموه تعجيزاً للناس ؟ أم أكرهوا على القول به فعلقوه على محال ؟ ومن أين علم أن المقترح أضاف كلمة (معنى) الى الترجمة ليتفادى ما أجمع المسلمون على عدم جوازه ؟

المقترح في حل من أن يترجم القرآن على الوجه الذى يمكنه من تصوير المراد منه ، لأن ذلك جائز في أوسع مذهب من مذاهب المسلمين ، واستحسنه علماء كبار من مذاهب أخرى كما رأيت ، فليس هو بحاجة لأن يأتي بألفاظ يستر بها مراده . وهدل مراده إلا خدمة العالم بما في كتاب الله من النور الساطع ، والاصلاح العيم ؟

تأسما :

قال الأستاذ ما صفوته : « أخطأ بعض المفسرين في تفسير بعض قصص الأنبياء فهل اللجنة تترجم هذا الخطأ أو تحذف تلك القصص ؟ فأولى من ترجمة القرآن أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفي ما لا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فصاحب الدار أحق بخيرها من الغريب » .

نقول : إذا كان بعض المفسرين قد أخطأ في تفسير بعض القصص فبعضهم أصاب لا محالة . فأننا لا نستطيع أن نتصور أن المسلمين في مدى نحو أربعة عشر قرناً كانوا يجمعون من هذه القصص على خطأ مبين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : لا يجتمع أمتي على ضلالة .

يريد الأستاذ أن تقوم مشيخة الأزهر ببحث هذه القصص ونفي ما لا يتلاءم وقواعد الدين منها ، فعله يريد أن تسلك فيها ما سلكه هو في قصة يوسف وسليمان ، وهذا ما لا يرضاه مسلم له بصرف في شئون هذا العصر ، فإن في العالم الغربي رجالاً يعرفون اللغة العربية مثل ما يعرفها الأعلام منا ، فإذا لم تسلك في فهم كتابنا الأصول المقررة لفهمهم ، وملنا بمنة أو يسرة غلوا منا في تنزيه بعض الشخصيات التاريخية ، اعتبرنا أولئك الرجال محرفين لكتابنا ، وهذه تهمة لم يوصم بها المساهون إلى اليوم .

وكيف يسوغ لنا أن نفهم أن أعلام هذه الأمة الأولين يجمعون على خطأ في فهم معاني الآيات الواردة في تاريخ بعض الأنبياء والمرسلين ، وقد كانوا أعلم منا بأصول اللغة ، وأكث منا حيطة لدينهم ، وكرامة كتابهم ؟

إن من أصول الاسلام الاعتراف بعصمة الأنبياء عن الكبائر ، أما الصغائر فخايزة عليهم ، ولا تسكاد تقع منهم حتى يسرعوا إلى الاستغفار منها ، وآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول تشهد بما نقول .

أفجعل منا لتنزيه يوسف من غابر الشهوة البشرية الذي خطر له فعصمه الله من الجري وراءه ، أن نعالج الآيات التي ذكرت قصته علاجاً مستكرها

فنسقطها من أوج البلاغة التي هي فيها ونحماها ما لا تحتمله من الاحتمالات البعيدة ؟

انظر الى ما ارتكبه الاستاذ في قصة سليمان إذ صرف قوله : « حتى توارت بالحجاب » الى الخيل لا الى الشمس ، وصرف المسح بالسيف كراهية لها واحتقارا الى المسح باليد حبا وإعجابا .

فإذا كان يريد بما طلبه الى حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الأكبر أن يؤلف لجنة لاحداث مثل هذا التحريف ، فاني واثق بأن طلبه لن يجاب أبداً ، وواثق أيضا بأن العقل العصري لا يسبغ هذا الضرب من الغلو في تنزيه الأنبياء فيستعمله صرف المعاني العالية للكتاب في هذه السبيل المحفوفة بالأخطار .

عاشرا :

قال الأستاذ في الوجه العاشر : « إن الله علم أية لفظة تصلح لأن تلى الاولى وتبين المعنى بعد المعنى ، وأية لفظة تكون لها عدة معان تتفق وحالة الناس من العلوم في جميع العصور ، بحيث يفهم كل جيل المعنى المناسب له ، وبحيث لا تكون المكتشفات الصحيحة معارضة لما يفهم من ألفاظ القرآن بل تتشبه معه . والبشر لا يحيطون بشيء من ذلك علما إلا على قدر معارفهم الناقصة ، كما لا يستطيعون ترجمة ما استبان لهم إلا بقدر مؤهلاتهم القاصرة . فإذا أقدموا على ترجمة ما فمفهومه من المعاني فقد يظهر في المستقبل خطؤه فيضاف هذا الخطأ الى القرآن » .

نقول :

إن الأستاذ القاضى يخلط بين الترجمة والشرح في كل ما يكتب ، وهذا خطأ كبير . فان ترجمة معاني الآيات لا تدخل لها في شرح مدلولاتها التي قد تترقى بترقى العلوم . ونحن نوضح هذا الموضوع بمثل فنقول : قال الله تعالى : « فهل ينظرون إلا سنة الأولين ، فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » . فهذه الآية يترجم معناها على ما تطلبه ألقاها من المعاني ، بصرف

النظر عن مدلولها العلمى ، فذلك يترك لعلم الناس في عهدهم الحاضر وعهدهم المستقبل . وإلا فلأردنا أن نتعرض لشرحها فإن ذلك يستدعى مناسفرا ضخما ، فانها دلت على أن الله في خلقه سننا مقررة لا تتخلف ، وهو من المعجزات الخظيرة التي قررها القرآن قبل أن يقولها أحد ، وابنتى عليها علم العمران ، وسيترق العالم في فهمها كلما ترقى العلم ، ولا تضرها ترجمتنا لمعناها بجمال من الأحوال .

مثال آخر : قال الله تعالى : « إنا كنا على خلقناه بقدر » فاننا نترجم هذه الآية على ما نعطيها معانى ألفاظها بدون تعرض لشرحها ، فان شرحها يستوعب أخص ما في علم الكون من نظريات ، ولا تقف ترجمتها دون التوسع في فهم مدلولها على حسب ترقى العلوم .

هذه أمور بديهية لا تحتاج لاطالة ، إلا إذا أريد عرقلة مشروع الترجمة بالمحاولات الكلامية .

الحادى عشر :

قال الأستاذ في الوجه الحادى عشر ما مصاصته : إن المطالبين بالترجمة لا يريدون إلا الترجمة التي أجمع المسلمون على عدم جوازها ، وإنما أضافوا كلمة معنى للتفادى من ذلك .

نقول :

هنا يذكر الأستاذ أيضا أن هنالك ترجمة أجمع المسلمون على عدم جوازها وهي ترجمة اللفظ بانفظ يقابله . ولا ندرى كيف يسوغ له هذا القول وهو يعلم أن الخفية يشترطون أن تكون الترجمة التي تصح بها الصلاة هي هذه الترجمة اللفظية لا الترجمة التفسيرية ؟ أما ترجمة المعانى التي يقصد منها تفهيم الأجاب معانى القرآن فلا يجرمها الأحناف ولا علماء كثيرون من مذاهب أخرى حتى الحنابلة كما ستراه .

ومن أين علم أن إضافة كلمة معنى الى الترجمة يقصد به التويه دون الحقيقة ؟ إن مشيخة الأزهر أنت بهذه الكلمة لتحتل من مصاعب الترجمة الحرفية

لتنستطيع تصوير المعانى الحقيقية للآيات غير مقيدة بتقابل الالفاظ ، فرمما كان هذا التقيد غير مؤمؤد للفراد ، وهي إما تريد تفهيم معانى الكتاب الكريم للأجانب عن اللغة لا إيتاءهم بترجمة يقتضون بها الصلاة على شرط الأحناف ، ولم تعلمهم بذلك ، ولو استفتيت فيه لمنعته بنانا جريا على مذهب الامام . فلم يسئى الاستاذ القاضى الظن بأئمة الدين المعاصرين الى هذا الحد ؟

الثانى عشر :

قال الأستاذ ما إجماله : « قال تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب ، وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله » . فهل هؤلاء يريدون ترجمة المحكمات دون المتشابهات ، أم ترجمة كليهما معا ، أم ترجمة المحكمات ترجمة معنوية ، والمتشابهات ترجمة لفظية ؟ فان كان الأول فلا يسوغ لهم تسميته ترجمة معانى القرآن بل معانى بعض القرآن . وإن كان الثانى فانه يقتضى تأويل المتشابهات حتى يمكن ترجمتها . وإن كان الثالث فلا تكون الترجمة معنوية خالصة ولا لفظية خالصة ، بل تكون خليطا » .

نقول :

ليس مراد الله من وصفه بعض الآيات بانها متشابهة أنها لا معنى لها في ذاتها على الاطلاق ، ولكن لأن العقول تفضل فى تأويلها ، وتقصرعن تصور حقائقها . ولنضرب لذلك مثلا بالآية التي نزلت المتشابهات بسببها : قال الله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم . الآية » روى أن النصارى لما قرءوا هذه الآية قالوا : أليس القرء ان يقول إن عيسى (روح الله) ؟ يكفينا هذا اعترافا منه ببنوته ، ومضوا بشبهتهم هذه يشيعونها في الناس على غير هدى ، فنزلت آية المتشابهات تنهى عن تأويل بعض الآيات وصرفها الى ما تشبهته الوسواس الاعتقادية ، وما يعلم تأويلها إلا الله وحده .

فقله تعالى : « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلته ألقاها الى مريم وروح منه . الآية » له معنى ظاهر يستقل بالفهم ويمكن ترجمته الى كل لغة ، ولكن تأويله ليس من غرض اللجنة ، فهي لا تعرفه ولا يعرفه أحد في الأرض ، فلا تبحث فيه ولا ترجمه .

مثال آخر : قال الله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » وقال تعالى : « قل كل من عند الله » . هنا تنازع أهل السنة والمعتزلة ، فقال المعتزلة : الآية الأولى محكمة والأخرى متشابهة . وقال أهل السنة : بل الأولى هي المتشابهة والثانية هي المحكمة .

فكلنا الآيتين كما لا يخفى لها معنى يستقل بالفهم ، يستطع مترجمو القرآن أن يضعوه في لغات أجنبية ، أما تأويل ذلك المعنى فلا يعينهما في شيء . إذا تقرر هذا فلا محل لسلك مارتبه الأستاذ القاضي على كل ما قدمه من المقدمات .

الثالث عشر :

في هذا الوجه يتحدث الأستاذ المترجمين جميعا ليجربوا أنفسهم في ترجمة معاني آيات اقتبسها من القرآن الكريم ، بحيث يكون للترجمة ما للأصل من روعة تاخذ بالنفوس ، وحكمة تستولى على الوجدان ، ومن أحكام تنطبق على قواعد الدين ولا تأبأها العقول الأجنبية الخ الخ .

وهذه هي الآيات :

(١) « ولو أن قرآناسيرت به الجبال أو قطعت به الأرض ، أو كلم به الموتى ، بل لله الأمر جميعا . أفلم ييبأس الذين آمنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا » الآية .

(٢) « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » .

(٣) « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » الآية .

(٤) « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » الآية .

(٥) قصة يوسف عليه السلام من قوله تعالى : « ولقد همت به ، الى قوله : واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين » ، مع بيان ما فيها من قواعد صحرانية ونظامية وقضائية وأخلاقية ومع مراعاة عصمة الانبياء » .

تقول :

إن مشروع الترجمة يتصدى لبيان معاني القرآن الكريم ، ولم يدع قط أنه سيضيف الى المعنى الاثنيان بنظم معجز في اللغات التي ينقله اليها كالنظم الذي للقرآن المنزل . ولم ياخذ على نفسه أن يشرح ما في الآيات من أحكام وشرائع ، ولا ما يستنبط منها من نظم وقوانين ، فهتمته محدودة ولا يسمح له بتعديها بوجه من الوجوه .

فلا محل والحالة هذه لتحدى الأستاذ المترجمين بما أتى به من الآيات .

الرابع عشر :

قال الأستاذ ما خلاصته في الوجه الرابع عشر وهو الأخير : « كتب الجوزون للترجمة مقالات تأييدا لمذهبهم لم تأسلم واحدة منها من خطأ ، وأسندت وقائع الى الرسول لم تثبت . وهذا بعض ما تخافه في التراجم وبخاصة إذا كان المترجمون أقل عقلا وبجنا وتمسكا بالدين » .

تقول :

لعل الأستاذ قد بلغه أنه ستؤلف لجنة من خيرة العلماء لتعيين معاني الآيات بكل دقة وتحصيص ، وتوكل تلك المعاني المحررة للمترجمين ليترجموا ، ثم يوكل الى لجنة ثانية نقد الترجمة والتحقق من مطابقتها للنصوص المحررة ، فلا موجب للتخوف من الخلط والخطب بعد هذا على الترجمة . ولا أظن أن كتابا أحيطت ترجمته بمثل هذه الضمانات من قبل .

الحجج التي يتذرع بها دعاء الترجمة والرد عليها

قال الأستاذ صاحب الرسالة : « تنحصر حجج مجوزى الترجمة في ثنتين :

(الأولى) أن الترجمات الموجودة للقرآن غيرت معانيه ، فإذا تولت ترجمته مشيخة الأزهر جاءت تلك الترجمة صحيحة .

(الثانية) أنهم يريدون إفهام الأ جانب حقيقة الدين الخفيف لعلمهم يهتدون « ثم تولى الأستاذ دحض الحجبتين فقلل عن الأولى ما زيدته :

« لو كانت لناقوة لمنعنا تلك الترجمات بها . أما الكتب وحدها فلا تقهر كتبنا ، فبلادنا مملوءة بالروايات الساوقة الداعية للإباحة والاحاد ، ويوجد بازائها كتب تدحضها وتدعو للاكاد والصالح ، فهل أخذت الثانية أنفاس الأولى أو قلت منها ؟ إنه لا يد لارشاد الناس من استصحاب الترة ، وما دام ليس لدينا قوة فلا ترجي من ترجمة القرآن فائدة ، بل ربما كان ذلك سببا لأن ينشط المبشرون لو ضع آلاف من الترجمات الفاسدة ونفرها مكابدة لنا . وإن هؤلاء المبشرين يقرءون القرآن العربي المبين كما تقرأه ويفهمونه كما يفهمه ، فهل منعهم فهمه من الدعوة الى دينهم ؟ وهل يتحاشون أن يقولوا إن ترجمة اللجنة مصححة للقرآن ، ولكن تراجمنا هي الحقيقية ؟ وما تأثير ترجمة واحدة والأسواق غاصة بالترجمات الخاطئة ؟ »

نقول لرد هذه الشبهات :

إننا نأسف من أن ترى رجلا في مثل درجة الأستاذ من العلم يطوح به الهوى الى مثل هذه الآراء الفائلة ، والخيالات البعيدة . ففى عهد الناس أن أمة تستخدم القوة لمحو تراجم خاطئة صدرت لكتابها في أمة أخرى ؟ ومبى رأى الناس أن لا فائدة لعمل ترجمة صحيحة بازاء تراجم خاطئة فتركوا الخطأ على ما هو عليه ليعتبر سكوتهم عنه رضاه به ؟

وكيف يروج في عقل إنسان أن ترجمتنا لمعاني القرآن تهييج المبشرين الى وضع (آلاف) من الترجمات الضالقة ؟

وعلى أية حال يعقل إنسان أنه ما دام المبشرون بين ظهرائنا يقرءون القرآن ويفهمونه ، ويستمررون في دعواتهم ، فلا حاجة بنا لعرض ديننا على العالم ؟

وكيف يمكن أن يتصور إنسان أن ترجمتنا لا تنفع مادامت الأسواق غاصة بالترجمات الخاطئة ، ويكون الأولى بنا أن ندع لتلك الترجمات الخاطئة المجال حرا ولا تقابلها بأية معارضة ؟

ألا إن ما يقوله الأستاذ لا يقهر عقل ، ولا يسنده عرف ، وقد جرى العالم قديما وحدنا على خلافه ، حتى أن أسوأ الأمم التي لا تبالى لو سخط عليها الناس أجمع لتبادر الى التكذيب فرية تافية تروى عن سياستها أو أعمالها ، تصحيحا لرأى الناس فيها ، واستدامة لثقتهم بها .

أما نحن فإن الأستاذ ينصحننا على ضعفنا أن ندع كتبنا غرضا لكل محرف متمعد وغير متمعد ، وعرضة لكل تشويه خفى أو ظاهر ، حتى نحصل على قوة فنمحو ما كتبوا بأطراف القنا المقومة ، وطلبي السيوف المذبذبة .

بجج ! ثم بجج !

يقول الأستاذ إن الكتب لا تقهر كتبنا ، ويضرب مثلا بكتب الأفايص والاحاد والكتب المؤلفة ضدها .

فهل يريد الأستاذ أن يقول : إنه ما دامت ليست لدينا القوة الرادعة فيجس بنا أن لا نعارض الكتب الداعية للهوى والاحاد ، بكتب ندعو للهدى والرشاد ؟ إن كان يقصد ذلك فهو مناقض لقبوله تعالى : « فذكر إن نعمت الذكرى . سيذكر من يجشى . ويتجنبها الأشتى » ، وقوله تعالى : « فذكر إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر » ، وقوله تعالى : « فاتمنا عليك البلاغ وعلينا الحساب » ، وقوله تعالى : « كلا إنها تذكرة . فمن شاء ذكره » وقوله تعالى : « إنما أنت منذر ولكل قوم هاد » .

الحجبة الثانية ورد الاستاذ عليها :

قال الأستاذ : « الحجبة الثانية لدعاة الترجمة هي أنهم يريدون إفهام الأ جانب حقيقة الاسلام لعلمهم يهتدون . فهل عرفنا نحن حقيقة فاهتدنا يهديه ولم يبق إلا أن نهدي غيرنا اليه ؟ أليست عامة المسلمين أولى بفهمهم حقيقة الدين من الأجنبي ؟ ثم قال :

« على أن تفهم الأجانب حقيقة ديننا لا يستلزم أن تترجم معاني القرآن ، ولكن هدايتهم تكون بأمرين : الأول بوضع كتاب يبين فيه ما يدعوا اليه والأصول العامة للفقهاء والمعاملة والأخلاق الخ الخ . والثاني بظهورنا أمامهم بلباس الدين متمسكين بما يدعو اليه . فإذا وصلنا الى هذه الدرجة سعوا الينا وتعلموا لغتنا ، كما كان يحصل أيام الفتوحات الاسلامية ، وكما يحصل منا إذا أردنا تعلم علم اختصاصهم به ، فاننا نسعى الى معرفة لغة أهل هذا العلم » .

نقول :

إن هذا الكلام من الأستاذ يفهم منه أن الاسلام أنزل خاصا بنا ، فبني استوفينا حاجتنا منه وتحملينا جميع فضائله ، حسن بنا إذ ذاك أن تفكر في الأجانب عنا . وفاته أن هذا الدين أنزل للبشر كافة ، وأن على السابقين اليه إذاعته بينهم عامة ، فليست حاجتنا نحن بأولى بالتقدم من حاجة غيرنا اليه ، ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب مبلغ أوعى من سامع ، كما ورد في الحديث .

فنحن في الدعوة الى الاسلام لا نأق بنافذة ، لنا الخيار في تعجيلها أو تأجيلها ، ولكن بواجب من الواجبات المفروضة علينا سواء أعلمنا بالدين أم لم نعمل ، قال تعالى : « إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ولبعنهم اللاعنون » .

فليس أمام الاسلام عربي ولا أجنبي . فان قلت : إذا كان الأمر كما تقول فلم لم ينزل الله بكل لغة في الأرض ؟

نقول : إذا استنسخ المترجم هذا الاعتراض فلم لا يستسيغ أن يقول : إذا كان الله يضاد كل فرد بالاسلام فلم لم يوح ذلك الى كل مكلف على حدة ؟

إن كلا الاعتراضين في نظرنا متساويان ، وهما معا باطلان ، فكما اقتضت حكمته تعالى أن يرسل رسولا واحدا الى الملايين من عباده يصطفيه منهم ، كذلك اقتضت حكمته أن يرسل أمة واحدة لتبليغ الأمم كافة يصطفيها منها . وكما أوجب على الرسول أن يبذل وسعه في إبلاغ ما أئتمن عليه من الرسالة

بكل وسيلة ، وأن يخاطب الناس على قدر عقولهم ، ويتنزل الى درجة فهمهم ، ويقارعهم بما يحذقونه من أساليبهم ، كذلك أوجب على الأمة التي تختار لنشر دعوته أن لا تدخر وسيلة في إبلاغها للأمم ، فتختار من الدرائع ما تنالها الاحوال بأنه أولى بالتعويل عليه من غيره .

وقد فهم المسلمون هذا الأمر منذ وجودهم ، فعملوا عليه جهدهم طاقاتهم ، ولم تفتهم مسألة ترجمة القرآن لهذا الغرض نفسه . وهو ما رواه ابن حجر عن ابن بطال في فتح الباري من أن على العرب أن يترجموا القرآن للأمم التي لا تفهم العربية تحقيقا لمبدأ تعميم الدعوة به ، كما أثبتناه بلفظه في فصل متقدم .

فلا معنى والحال هي هذه لقول الأستاذ صاحب الرسالة التي تنقدها إن الأولى بنا أن نهدي أنفسنا أولا ثم ننظر في أمر غيرنا ، فان ما أوجبه الدين كل لا يتجزأ ، ونحن مطالبون به كاملا ، ومحاسبون على التصدير فيه أصلا أصلا .

أنستبعد أن تكون ترجمتنا للقرآن سببا في هداية أمة اليه يعز الله بها الاسلام في هذا العهد الذي ضعف أهله عن الاضطلاع بأعبائه ، وقصروا عن القيام بمهامه ؟

أما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعز الاسلام بأحد العبرين ، فهل يحرم علينا أن يقول : اللهم أعز الاسلام بأمة من الأمم ؟

و بعد

عقد الأستاذ القاضي فصلا في رسالته تحت هذا العنوان قال فيه ما خلاصته : « كانت الفتوحات في أيام الفاروق واسعة وكان الصحابة أحرص منا على نشر الدين ، ومع هذا فلم يفكروا في ترجمة القرآن الكريم .

« وقد زادت الفتوحات اتساعا في عصرهرون الرشيد والمأمون ، ودخلت في الاسلام طوائف كثيرة لسانها غير عربي ، وكثر المترجمون الى اللغات ، ومع هذا فلم يجد أحد حاجة الى ترجمة معاني القرآن الكريم .

« لم يسعوا لغة القرآن لعلمهم أن في بقاء لغته على ما هي عليه دوام حياة

الأمة العربية ونماها وبقاء دينها بل وبقاء القرآن . وهذه قاعدة أجمع عليها علماء الاجتماع من شرييين وغيريين . فان كل أمة تسعى في نشر لغتها وإضعاف لغة غيرها لعلها أن رواج تجارتها ومد نفوذها وسلطانها يتبع نشر لغتها .

« وكما تدعو السياسة الى المحافظة على اللغة يدعو الى ذلك الدين نفسه، لأن القرآن لا يمكن فهمه حق الفهم ولا معرفة قدره حق المعرفة إلا باللغة العربية .

« وما روى عن الامام أبي حنيفة من أنه أجاز القراءة بالفارسية ثبت رجوعه عنه (الأستاذ يقول ثبت) . فالاقدم على ترجمة القرآن بدعة في الدين سيئة ، وقد يؤدي ذلك الى انصراف بعض متعلمي اللغات منا عن القرآن وتفسيره الى تراجمه ، ويتبع ذلك انحطاط اللغة العربية » انتهى .

ونحن رد هذه الشبهات نقول :

لم لم يترجم الصحابة القرآن ؟

لم يفكر الصحابة في ترجمة القرآن استكمالاً لوسائل الدعوة لسببين : (أولها) تعذر ذلك عليهم لعدم وجود من يستطيع ذلك منهم ، ناهيك أنهم لم يجدوا من يتولى أمور الدواوين منهم باللغة العربية فبقوها بلغات أهلها حتى وجد منهم على عهد عبد الملك ، أى في أواخر القرن الأول للإسلام ، من يستطيع الاضطلاع بها ، فقلب لغتها الى العربية ، وكان هذا الأمر لا يستدعى أكثر من القراءة والكتابة . أما الترجمة فتستدعى حذق بعض اللغات الأجنبية ، وكيف السبيل الى ذلك وهو يقتضى ثقافة خاصة لم تكن وجدت الى ذلك العهد ، ولا الى ما بعده بنحو مائتين وخمسين سنة ؟ فكيف يعقل أن يفكر الصحابة في ترجمة القرآن الى اللغات الأجنبية ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسمها ؟

هذا هو المانع الأول . وأما المانع الثاني فهو أن الترجمة كانت لا تجدى أولئك الأقوام المعاصرين للصحابة ، لأنهم كانوا تحت سلطان ساداتهم في إيمانهم وكفرهم . وقد قام الصحابة باقتناع أولئك السادة بفساد أديانهم

وصلاحية الاسلام ، فدخلوا فيه وتبعهم مقلدوهم مسرعين ، وبقوا مسلمين الى هذا اليوم ، ولا يعرف القرآن منهم إلا فقر يعدون على الأصابع ، وأما من عداهم فيعرف بعضهم قراءة الفاتحة بلهجة لا تفهم ، وبقي سوادهم لا يعرفون ولا فاتحة الكتاب ، ولا يصاون ولا يصومون .

ومن شاء أن يتحقق من هذا كله فليسال الطلبة الأجانب الذين في الأزهر ليعلم ما يسوءه من هذه الناحية .

وهاتان الهند والصين اللتان أسلم ملايين من أهلها منذ القرن الاول ، لايزالون الى اليوم ، وقد بلغوا الآن كم والأندوسيون وغيرهم أكثر من ثلاثمائة مليون نسمة ، على ما كان عليه الأيوأم الأولون من الجهل بالعربية جهلاً تاماً ، وقد حذق كثير منهم الانجليزية بحافز من الحاجات المعيشية ، ولم يجدوا أنفسهم بتعلم العربية ، فاضطروا الى ترجمة القرآن ، فترجمه رجال منهم الى الصينية والهندية والانجليزية والاندوسية ، وقد طلب الاندوسيون أخيراً الى علماء الهند السنيين أن يترجموه لهم الى الانجليزية ، فشرعوا في ذلك وأنمو منه ثمانية عشر جزءاً كما ورد في جريدة البلاغ وأثبتناه في فصل متقدم .

فلو كان كتب لهذه المئات من الملايين أن تتعلم العربية ، لتعلمتها والدولة العربية في أمة سلطانها ، واللغة في نضارة شبابها . أما اليوم وقد سمحت الشبهات العلمية المقول ، وأصبحت الزامة العالمية في أيدي الشعوب الأوربية ، فان مجرد التأميل في تعلم المسلمين الأجانب للغة العربية يعتبر من قبيل الاشتغال بالخيالات البعيدة .

من أراد أن يعرف مكان هذا الأمل من التعذر فليعتبر بالأمة التركية ، فقد حمت أعباء الخلافة نحو أربعة قرون ، وأدجبت في لغتها أرق الألفاظ العربية ، حتى أنها لتبلغ الربع من جملتها ، وعرف الأتراك بشدة التمسك بالدين ، ومع ذلك بقيت الأمة التركية تجمل العربية الى اليوم . ولا يكاد يفهمها منهم إلا المئات من رجال الدين على قصور تام فيها .